حكمة

اســـــم العمـــــل : حكمة
النـــــــــــوع : رواية
تـــــــــــأليف : د.رشا الجندي
تصـــميم الغـــلاف : أحمد الملواني
مراجعة لغـة عربيـة : سندس المزين
إخـــراج داخلـــي : عبدالقادر فايز
الطباعـــــــــة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشـــــــــر : الدار للنشر والتوزيع
المـــدير العـــام : محمد صلاح مراد
تليفـــــــون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريـد الإلكترونـي : eddar_press@yahoo.com
فـــيس بـــوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقـــم الإيـــداع : ٢٠١٦/٢١٢٦٢
التـــرقيم الـــدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-146-9

حكمة

رواية

للدكتورة / رشا الجندي

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٦

الإهداء

إلى كل النفوس بأنواعها

"الآمنة، الغير الآمنة، الخبيثة، الطيبة، القوية، الضعيفة"

إلى كل إنسان أجبرته ظروف الحياة على التخلي عن فطرته الطيبة، وكل إنسان استطاع الحفاظ على براءة فطرته بالرغم من قسوة الحياة عليه.

أهدي إلينا جميعاً هذه الرواية وأتمنى أن نصل منها لمرحلة الحكمة في الحياة، فنصبح أقوياء دون أن نفقد إنسانيتنا،

ونحيا بسلام

رشا الجندي

ما قبل الرواية

أن يأخذ الإنسان خطوة نحو كتابة رواية يعني أن هناك أحداث في الحياة لابد أن يتم تدوينها لكي يتداولها الناس، فيتنفسون الإيجابيات والسلبيات التي تساعدهم على استنشاق الخير والحب والعطاء والأمل في هيئة الشهيق، وإخراج ما في أنفسهم من طاقات سلبية كالشر والكراهية واليأس والحقد والحسد على هيئة الزفير.

وفي المجمل فجميع اللقطات تم استنشاقها بإيجابياتها وسلبياتها من خلال التأمل عبر سنوات عديدة في البشر والمواقف والكون.

عزيزي قارئ هذه الرواية:

إنني الآن أقدم إليك ما قمت بالتقاطه من الحياة عن طريق التأمل، ولذا فكان من الضروري أن تمر هذه اللقطات على عقلي وإحساسي كلاهما معاً، لأنني إن كنت قد التقطها بعقلي فقط فسوف أقدمها لك ناقصة للإحساس، وبالتالي وبفطرتك كإنسان ستنفر منها. وإن كنت قد التقطها بوجداني فقط، فسألقي بك في بئر الصدمات النفسية التي يأتي معظمها نتيجة للتصرف بعواطفنا فقط دون إعطاء فرصة لعقولنا للتدخل.

إذن فالحكمة التي تجمع بين العقل والوجدان هي أساس كتابة هذه الرواية ولهذا سميت بطلتها "حكمة".

من هي حكمة؟

البيانات الأساسية:

الاسم: حكمة السَنَد.

الوظيفة: مديرة العلاقات العامة بوزارة الخارجية منذ تخرجها من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية نتيجة لتفوقها الدراسي، ومساعدة والد صديقتها (دانا) بحكم علاقاته وعمله كرجل أعمال معروف.

الحالة الاجتماعية: آنسة من أسرة متوسطة مكونة من:

١- "الأم" التي توفت وهي تلد ابنها الصغير أحمد.

٢- "الأب" محقق قانوني على المعاش.

٣- "الأخ أحمد" يصغر حكمة في العمر.

٤- "الجدة" وتبلغ من العمر تسعين عاماً وفي كامل وعيها لكن مشكلتها أن سمعها ضعيف.

الملامح الداخلية للشخصية:

١- تحب الحياة ولكنها غير آمنة.

٢- بريئة (فطرتها لم تلوث).

٣- بسيطة وتتبع بساطتها من روحانيتها العالية.

٤- تستمد أمانها من سعادة واستقرار الناس والعالم من حولها لذا فأي خطأ بشري أو مشكلة حياتية تلهمها الشعور بالخوف الداخلي الذي لم تعتاد التعبير عنه بالكلام.

٥- شخصية حساسة منذ طفولتها ومشاعرها الداخلية لا يمكن للآخرين التعرف عليها من خلال كلمات حكمة ولكن يمكنهم التعرف عليها من خلال نظرات عينيها وطريقة جلستها ومدى إنصاتها، فهي يصعب عليها التعبير عما بداخلها بالكلام. فعندما تشعر حكمة بالخوف تجلس كالمنكمش على نفسه وتلمع الدموع في عينيها، والعكس فعندما تشعر بالأمان تنطلق في حركتها كالأطفال وتلعب وتمرح والإبتسامة لا تفارق وجهها وتتمتع بروح الفكاهة.

٦- تتأثر كثيرًا بالصدمات ولا تستطيع التعامل معها لأنها دائمًا غير متوقعة لأي خطأ بشري أو حياتي لذا فإحساسها بالحياة ما زال يكمن في أن الناس والعالم من حولها مثالي

برغم ما وصلت إليه من وظيفة من أهم متطلباتها الواقعية والذكاء وخاصة "الاجتماعي".

٧- تعشق التأمل. وكثيراً ما تمنت لو أن الله خلق هذه الكرة الأرضية مغلفة بغلاف الخير وليس بها أي ثقب ولو بسيط يسمح بمرور خيط من الشر، ولكن سرعان ما تتوقف عن هذا التفكير الذي يؤدي للخوض في شئون إلاهيه.

الملامح الخارجية للشخصية:

١- ذات وجه مريح نفسيًا يلقى قبول كل من حوله، فكل من يراها للوهلة الأولى يظنها أصغر من عمرها نظرًا لبراءة ملامح وجهها. فهي تتمتع ببشرة ملساء ناعمة كنعومة ملمس بشرة الأطفال، وشعر أسود مموج يصل لنصف ظهرها، وعينين جميلتين يلمع فيهما سواد كل عين كأنه دمعة تحمل في طياتها غموض وإشراقة في نفس الوقت، وشفاه تريد أن تنطلق وتتحدث ولكنها كثيراً ما تتراجع عن الكلام وترسله ليسكن بداخل قلبها الذي امتلأ بالكتمان وكأنه بئر عميق لا يتوقع البشر مدى عمقه، وما يحمله من

كلمات، ربما لو فاضت على سطح الأرض لرقت قلوب الكثير من القاسيين والظالمين، وأعلنوا الرحمة والسلام للعالم.

٢- ذكية تخطط جيدا للحياة وذلك نظراً لنجاحها العملي فلا يتوقع الآخرون مدى براءتها الداخلية إلا عندما يتقربون كثيرا منها.

٣- صبورة وقادرة على تحمل المسئولية.

كيف يرى الآخرون حكمة:

تركيبة حكمة عميقة جدًا لأصحاب العقول والخبرات العميقة، فهي تجمع بين العقل والشقاوة، الجدية والرومانسية، النضج والبراءة، الخيال والواقعية، المرونة والجمود، الطيبة والنجاح، في وظيفة تحتاج للتلون. لذا يحتارون دائمًا في الحكم علي شخصيتها، وتكون بالنسبة لهم شخصية مثيرة للتفتيش في أعماقها.

أما أصحاب الشخصيات التقليدية فحكمة بالنسبة لهم شخصية ناجحة وقوية، يستطيعون الإعتماد عليها واللجوء إليها.

باقي شخصيات الرواية حسب الظهور:

أولاً: الشخصيات الرئيسية بجانب عائلة حكمة:

١- د/ آدم.

٢- د/ ميلر.

٣- السيدة/ كوثر.

٤- السيد/ شوكت.

٥- دانا.

٦- فارس.

٧- سعيد.

٨- رأفت اللبناني.

٩- يوسف.

ثانياً: الشخصيات الفرعية:

١- مسئولة استقبال الحالات بعيادة الدكتور آدم.

٢- الجيران (أم أحمد وابنتها).

٣- العمة.

٤- زميلة العمة في الكويت.

٥- الشاب العامل في الكافيه.

٦- صديق والد حكمة.

٧- العم.

٨- صديقة كوثر (هالة).

٩- حارس العمارة.

١٠-صديق أحمد.

١١-صديق أحمد (العريس).

١٢-العروسة.

١٣-والد كوثر.

١٤-الأطباء والممرضات في المستشفى.

١٥-ابن عمة حكمة (المحامي).

١٦-طفل الشوارع.

١٧-مرافق رأفت.

١٨-المطرب اللبناني.

١٩-أصدقاء يوسف.

٢٠-الأخ الأصغر ليوسف.

٢١-الموظفون عند يوسف (الموظف الملاوع - الموظف الصادق).

٢٢-الملحن المصري الشاب.

٢٣-عادل صديق يوسف.

٢٤-خادمات يوسف.

٢٥-رجل الأمن في شركة يوسف.

٢٦-سائق التاكسي.

"وفي ما يلي تفاصيل رواية حكمة"

الفصل الأول

(١)

يُفتَح ستار هذه الرواية حيث تجلس حكمة أمام المرشد النفسي (د. آدم) تبكي بكاءً صامتاً، فوجهها البريء ودموعها المحبوسة بين جفنيها، تهز وجدان ومشاعر كل من يراها مهما كانت قسوته.

تنظر إليه وتوجه سؤالها:

(كيف أستطيع مواجهة الحياة بقوة دون أن أفقد إنسانيتي؟

ينتبه بشده لسؤالها، فلم يتوقع هذا السؤال من مثل هذه الإنسانة البريئة الملامح.

يطيل النظر إلى عينيها، وتعابير وجهه تنتظر المزيد.

إنصاته ساعدها على الإسترسال في الكلام، فالتفت برأسها ووجهت نظرات عينيها إلى الأرض وقالت بصوت تائهٍ حزين:

إنها معادلة عجزت أن أطبقها على أرض الواقع، فحينما تتغلب مشاعري في التعامل مع البشر والمواقف وأتعامل كإنسان، أجد أنني أقع في الكثير من الصدمات النفسية فأشعر بالخوف والضيق

والإحباط لأن الجميع يتفهم إنسانيتي على أنها ضعف وقلة حيلة ويستغلون هذا لصالح أهوائهم ومصالحهم الشخصية).

ظن أنه استوعب مغزى شكواها على أنها شكوى جميع البنات أو السيدات غالباً، اللاتي يتحدثن دائماً بلغة العاطفة.

ظن أنها قد انتهت من شكواها ولكن خاب ظنه عندما رفعت رأسها ونظرت إليه مرة أخرى قائلة:

(والعكس، فحينما أتعامل مع الآخرين بقسوة وأعطي مشاعري أجازه، أجد الجميع يحسب لي مليون حساب وأرى نفسي محط إهتمام الجميع ولكنني مع مرور الوقت أشعر بأنني بالفعل قد بدأت بفقدان شخصيتي الحقيقية وإحساسي وشعوري بأنني إنسان).

أثارت حيرته فسألها: وما الموقف الحالي الذي جعلكِ تأخذين القرار للمجيء إلى هنا والتحدث بهذا الكلام؟

أجابت: كنت حينما أجد حيوان يتألم أبكي وأتأثر، وإن شعرت بأن أي إنسان ليس على ما يرام أحزن بداخلي وأحاول مساعدته، ولكنني الآن وصلت لمرحلة أنني اليوم في الصباح وأنا في طريقي لعملي وجدت شاب قد صدمته سيارة وغارقاً في دمه ولكنني لم أتأثر

ونظرت إليه كأن شيئاً لم يكن وكأن هذا أمر طبيعي واستكملت طريقي. وعندما وصلت لمكان عملي لم أتمكن من البقاء وطلبت أجازه ووجدت نفسي بحاجة للمجيء إلى هنا.

(٢)

د/ آدم في حديقة ڤيلته يدخن السيجارة وينظر لأعلى متأملاً بعمق، حيث السماء الواسعة والشمس التي حان إشراقها، والهواء الذي يحمل إليه رائحة حكمة فلم يستطع أن يمنع نفسه من طيفها الذي اعترض قلبه دون استئذان، فتجول بخياله صورتها بوجهها الملائكي وشعرها الأسود المموج الطويل الذي لم تُقيّد حريته فبات طليقاً على كتفيها بلونه الأسود الفاحم، وكأنه أضاف خاصية جديدة لمعدن الفحم.

يطيل النظر في دمعة عينيها التي ظلت حائرة ما بين البقاء في العين وبين مفارقتها، وشفتاها المضمومتان وكأنهما حريصتين على ابتلاع أنين البكاء، وقد زادهم الضم جمالاً، وقت وجود حكمة أمامه بالعيادة.

يُحدّث نفسه قائلاً: كيف لإنسانة بمثل هذه البراءة أن تصل لهذه المرحلة؟!!!

يتذكر سؤالها " كيف أصبح قوية دون أن أفقد إنسانيتي؟ " ويفكر ويتأمل.

يطفئ سيجارته ويقرر الاتصال بزميله المحلل النفسي الإنجليزي الجنسية والذي يقيم بإنجلترا ويدعى "د.ميلر" ويسأله نفس السؤال..

يبتسم ميلر قائلاً: إن الموازنة بين العقل والقلب معادلة من السهل جداً أن نقولها ولكن لن يستطيع تطبيقها سوى الحكماء.

ينتظر آدم المزيد فيستكمل ميلر كلامه:

لن نصل للحكمة بالعمر ولكن بالمواقف الصعبة التي نمر بها في حياتنا..

هذا الكلام أثار شغف د.آدم أكثر وأكثر نحو المعرفة حول هذه الإنسانة.

(٣)

ذهب آدم لعيادته بعدما تملكه الشغف تجاه مقابلة حكمة مرة أخرى، فأصبحت تزور خياله بين حين وآخر، وظل في إنتظار أن تأتي ولكنها لا تأتي..

الأيام تمر وحكمة لا تأتي، فاضطر أن يسأل مسئولة استقبال الحالات لديه في العيادة عن حكمة، فقالت:

أنها لم تعاود الاتصال مرة أخرى ولم تأتِ مطلقاً للآن.

طلب منها أن تحضر له الملف الخاص بحكمة وجلس يتأمل بياناتها يوماً بعد يوم، إلى أن شعرت المسئولة باهتمامه منذ فتره باستقبال هذه الإنسانة مرة أخرى، فقالت بتلقائية:

لماذا أنت حيران يا دكتور؟!! أنا لم أرك من قبل بهذا الشغف لرؤية حالة مثل هذه المرة !! لذا فالأمر أسهل مما يكن، دعني أتصل بها وأطلب منها أن تأتي إلى هنا مرة أخرى.

تعجب آدم !!! وقال بحزم: هذا الأمر ليس مهنياً مطلقاً فلا يمكن للمرشد النفسي بالتحديد أن يطلب حالة لكي تأتي ولكن لابد أن يكون الإنسان هو الذي لديه الرغبة.

سكت بضع ثواني ثم قال بصوت منخفض:

"أتت برغبتها بالمرة الأولى وستأتي بالمؤكد ثانياً"..

(٤)

حكمة داخل سيارتها تصل لأعلى قمة في جبل المقطم، تجلس تتأمل القاهرة الكبرى، وتدقق النظر في الأشخاص والمباني وكأن كل شخص، وكل مبنى، وكل شارع، يحمل في طياته سر من أسرار رحلة حكمة مع الحياة. ومن ثم تبدأ في استرجاع البداية في ذاكرتها..

المشهد الأول:

حكمة طفلة في الصف الرابع الابتدائي ترتدي ملابس المدرسة ووالدها ينادي عليها:

"ياللا يا حكمة إتأخرنا".

"حاضر يا بابا بسرعه اهوه".

تحمل حقيبتها وتنزل مع الأب تركب أمامه الدراجة، وأخوها يركب خلفه.

يتبادل الأب الحديث مع إبنه، وفي الطريق يمرون على مشاجرة في الشارع.

يُعبّر الأخ بحركات طفولية:

"بابا شفت الخناقة؟ كان بيضربه".

يتبادل الأب الحوار مع ابنه حتى يلفت انتباهه صمت حكمة فيسألها: ساكته ليه يا حكمة؟!

ترد: هو إحنا ليه منزلناش نحوش عن الولد اللي بيتضرب؟!!

يرد الأب: ملناش دعوة خلينا في حالنا إحنا عندنا مدارس..

تصمت حكمة..

(٥)

المشهد الثاني:

حكمة في الفصل بالمدرسة حيث يشرح المعلم الدرس وهي صامته إلى أن يدق جرس الفسحة فيخرج جميع الأطفال جريًا للفناء فرحين وتخرج حكمة في هدوء وبطء، تجلس في أحد أركان الفناء وتتأمل تصرفات باقي الأطفال. وبانتهاء اليوم الدراسي يأتي وقت العودة فتعود مع والدها للمنزل وأثناء صعودهما لشقتهما شاهدا جيرانهما

"أم أحمد وإبنتها هالة" في مدخل العمارة يقومان بالتنظيف أمام شقتهما.

يحمل والد حكمة حقيبتها المدرسية ويلقي على جيرانه التحية وبعد دخولهما الشقة، تقول أم أحمد لابنتها:

(يا عيني على الراجل ده، عمال يودي المدرسة ويجيب من المدرسة ويطبخ ويكنس وشايل الهم، ما يروح يتجوز أحسن له).

ترد إبنتها: (يروح يتجوز ويسيب عياله؟!! إنتي مش شايفه بيحبهم إزاي؟!!).

أم أحمد: (وإيه يعني ما أبوكي مات وسابنا).

تترحم البنت على أبيها بنظرة حزن لأمها، التي تجهل معنى هذه النظرة، وتجهل أضرار الكلام الذي قالته لابنتها.

(٦)

المشهد الثالث:

في إحدى الدول العربية " الكويت " عمة حكمة شخصية بسيطة ومرحة تجلس مع زملائها في العمل وتعلن عن رغبتها في البحث

عن وظيفة لأخيها " والد حكمة " وذلك لأن الحمل أصبح ثقيلاً عليه في مصر وخاصةً بعد وفاة زوجته، وهو موظف بسيط وعائده المادي لا يتحمل كل هذه المسئوليات للعيش حياه كريمة.

تنظر العمة لأقرب زميلة لها وتقترب من أذنيها قائلة بصوت منخفض: أصل أخويا شوية كده وهيبقى عايش سنكوح، ده مش حاسس بالدنيا في مصر إنها بتغلّى يوم بعد يوم والعيال بتكبر، لو فضل عايش على مرتبه ده يا ختي في مصر يا لهوي يا لهوي العيال بعد كده هيجوعوا، مش بعيد البت حكمة نلاقيها بتبيع مناديل في الشوارع والواد أحمد بيمسح عربيات في الإشارات.

وتستمر في الاسترسال:

لا وإيه كمان مش عاوز يتجوز إلا لما العيال يكبروا، يا ختي هيجيب طاقة منين للجواز لما يكبر ؟! ده هيفضحنا ..هههههه.

تضحك الزميلة قائلة: والنبي إنتي عسل، نساعده يا حبيبتي منساعدوش ليه.

ويدور النقاش بينها وبين زملائها حول هذا الأمر إلى أن تنتهي العمة بأنها بالفعل سوف تحاول جاهدةً في البحث له عن وظيفة بالكويت وستكون له مفاجأة.

(٧)

المشهد الرابع:

حكمة طفلة في المرحلة الإعدادية مع والدها في بلكونة شقتهما.

حكمة تتأمل في الأطفال وهم يلعبون بالحارة، والأب يقوم بتقطيع البطاطس لتحضير العشاء.

تطلب حكمة من أبيها النزول للشارع للعب مع أخيها وأصحابه فيوافقها قائلاً: قومي بتأدية صلاة العشاء أولاً ثم إنزلي والعبي وافرحي حتى أنتهي من تحضير وجبة العشاء وأناديكم.

الأب في المطبخ يستمع لأغنيه لأم كلثوم أثناء تجهيزه للطعام فيدق جرس الباب وإذا بحكمة تبكي لأن أخيها رفض لعبها مع أصدقائه الصبيان..

يستدعي الأب الأخ ويعطيه محاضرة في كيفية التعامل مع أخته البنت ويفرض ممنوعاته قائلاً:

(ممنوع تمد إيدك على أختك البنت لأن هقطعها لك، ممنوع تفرح وتلعب لوحدك من غير ما تفَّرح أختك وتلعبّها معاك، ممنوع تمس أختك بكلمة طول ما أنا عايش وحتى بعد أما أموت).

تعود لحكمة بسمتها وتشعر بالسند والقوة.

(٨)

تظل حكمة على جبل المقطم تسترجع مشاهد الحنان والسند والرعاية التي كان يرعاها لها والدها.. إلى أن يأتي إليها أحد الأولاد العاملين بالكافيه، ويسير باتجاهها بمشيته العشوائية وعيناه التي زادها شربه للحشيش إحمراراً.

يسألها عن ماذا تطلب من المشروبات؟ نسكافيه ؟ عصير؟؟

تنظر له حكمة في صمت فيردد الولد نفس سؤاله مضيفاً تذكرة لها (نسكافية، عصير، شاي؟)

تفيق حكمة من سرحانها قائلةً:

شكراً سيبني شويه كده.

يعض الولد على شفتيه، وينصرف من أمامها قائلاً في نفسه:

"إيه البلاوي دي"!!!.

تعود حكمة لاسترجاع مشاهد حياتها فتسترجع بذاكرتها مشهد سفر والدها للكويت، حيث توجد حكمة وأخوها مع عمهما وجدتهما في السيارة لتوصيل الوالد للمطار، والجميع في السيارة يتحدثون ويضحكون وحكمة تبكي بكاءً صامتاً وتحبس دموعها حتى لا يتألم والدها لألمها.

يصلون المطار ويزداد شعور حكمة بالخوف وكتمانها له، يبدأون بإنزال حقائب السفر من شنطة السيارة وحكمة تنظر لكل الحقائب وكأن كل حقيبة تحمل جزء من قلب حكمة.

يدخلون المطار فيمنعهم أفراد الأمن من الدخول جميعاً ويقولون لهم:

"الدخول للي مسافر بس".

هنا تأتي لحظة توديع الأب.

وبدخوله من باب المطار تنهمر حكمة الطفلة في البكاء ولا ترتمي في أحضان أحد، ولا يضمها أحد لأحضانه بل تواسيها جدتها بالكلمات فقط، فتشعر حكمة ببداية عدم الأمان.

تضم شفتيها الصغيرتين وتنظر للأرض في هدوء وبراءة، حتى يعلو صوت بكاؤها الذي لا يشبه صوت بكاء الأطفال المزعجون ولكنه يرسل إشارات ضعف وحزن ترق لها قلوب القاسيين.

(٩)

المشهد الخامس:

حكمة الطفلة بالمنزل بمفردها نائمة.

أخوها مع جدتها في زيارة للعم.

يدق جرس الباب فتصحو حكمة متجهة للباب قائلة: مين؟ إنه صديق والدها.

تفتح الباب قائلةً: (إتفضل ياعمو).

يدخل الرجل للإطمئنان على أحوالهم فيعرف أن الطفلة حكمة بمفردها بالمنزل. يجول بخاطره الإعتداء عليها ويحاول ذلك.

لم تدافع حكمة عن نفسها، فشعورها بالإندهاش قد سيطر على حركتها!!!!

هو يدلك يديها بشهوته الحيوانية، وهي ترفع رأسها ودموع البراءة والخوف تتلألأ في عينيها طالبة الأمان.

بدأ في نزع ملابسها فوقع نظره على عينيها التي أهدته دموعها الشعور بتأنيب الضمير فجأةً.

خرج هارباً.

جلست حكمة في صمت غير مستوعبة لما حدث ولكنها تشعر أنه شيء قذر ولا تعرف معناه.

احتضنت نفسها وقالت "ماما لأ بابا بابا بابا". أيقنت أن الأب لا يسمعها فقد سافر. أسرعت لسريره واحتضنت وسادته، واختبأت تحت غطائه.

بعد عودة الجدة والأخ حاولت حكمة أن تحكي لهما ما حدث ولكنها خافت فسكتت.

في الليل لم تستطع حكمة النوم فكتبت ورقه لوالدها تحكي له ما حدث، واحتفظت بها مع أشيائها الخاصة، فهي طفلة لا تعلم كيف ترسل خطاب.

(١٠)

المشهد السادس:

تستيقظ حكمة على موعد مدرستها متأخرةٌ فتعاتب جدتها على التأخير، فتقول الجدة وهي خجولة مما حدث:

يا بنتي أنا ست كبيرة معرفش في المواعيد والحاجات دي، ده أنا بصحِّي نفسي بالعافية إتعودي تصحِّي نفسك وأخوكي بعد كده.

تصمت حكمة للتحول المفاجئ الذي حدث بحياتها بعد سفر الأب ولكنها لا تستوعب معناه، وتنادي على أخيها وتمسك بيده ويذهبان مسرعان للمدرسة.

في الفصل تأخذ حكمة درس اليوم عن البريد، فتذهب بعد المدرسة لإرسال الورقة لوالدها ولكنها في آخر لحظة تتردد لأنها تشعر أن الورقة تحمل في سطورها شيء قذر سيجعل والدها يتألم.

تعود للمنزل دون أن ترسل الخطاب..

يسألها أخوها عن سبب عدم إرسال الخطاب، فتشرد حكمة بذهنها لثوانٍ ثم تقول إنها تفضل أن تسمع صوت والدها فهي تنتظر مكالمته لها.

(١١)

المشهد السابع:

حكمة وأخوها يلعبان بالشارع فيأتي عمهما على غفله للإطمئنان على أحوالهم فيجد حكمة الطفلة تلعب مع الصبيان في الشارع فينادي عليها بصوتٍ عالٍ في الحارة.

تفرح حكمة لسماع صوت عمها الذي يشبه صوت والدها، تبتسم ثم تلتفت تجاهه وتجري عليه ظناً منها أنه جاء ليضمها لأحضانه.

قبل الوصول إليه تتضح لها نظرة عينيه التي تحمل غضباً، ينتابها القلق فيتحوّل جريها إلى مشي بطيء، تتباطئ خطواتها إلى أن تصل إليه.

يقوم بضربها بالكف على وجهها أمام كل الأطفال قائلاً:

إنتي صغيره عشان تعملي كده؟ إنتي كبرتي، كلها كام سنة وتتجوزي، وإزاي تلعبي مع صبيان؟ إمشي أدامي على فوق ياللا.

تمتلئ عيناها بالدموع وتصعد لجدتها مع عمها الذي يقوم بفرض ممنوعاته معاتباً جدتها على تركها كبنت تلعب مع الأولاد.

تجري حكمة على سريرها تحتمي في وسادتها وتبكي وتنام.

بعد ساعة يصعد أخوها للمنزل، فيوقظ حكمة من النوم لكي تبدل له ملابسه لينام.

تشعر هي بالضيق لأن هذه الأمور لم تكن من مسئولياتها، ولكن فطرتها الطيبة منعتها من أن تكسر بخاطر أخيها، فقامت بالفعل من سريرها، وساعدته فيما يريد.

(١٢)

أثناء إستغراق حكمة في مشاهد طفولتها يعود إليها الولد العامل بالكافيه ليردد سؤاله عليها باستهزاء وبصوتٍ مزعجٍ يقول:

جرا إيه يا أبله!! إنتي جاية تنامي هنا ولا إيه؟ أجيبلك واحد بطانيه؟؟ هتشربي إيه؟ القاعدة هنا بالمشاريب.

تجاوبه حكمة: شكراً أنا ماشية.

ينزعج الولد لإجابتها:

(يعني إيه يعني إنتي قاعدة هنا ببلاش!! دي أرضية بندفع عليها فلوس)..

تنزعج حكمة لأسلوبه وتقول: مفيش أسلوب أحسن من كدة تكلمني بيه؟!! يرفع الولد صوته أكثر وأكثر ويبدأ الناس في التجمع حولهما..

هنا يزداد شعورها بعدم الأمان، ولكنها تحاول عدم إظهار ذلك فتبدأ في استخدام القوة والثبات والتعامل معه بقسوة، إلى أن يتجنبها الولد، وبالفعل تركب سيارتها وتغادر المكان وهي متماسكة.

في الطريق يتملكها ضعفها الأنثوي فتبدأ دموعها في الإنهمار وتبكي بكاءً حاراً.

أثناء بكاء حكمة يدق جرس تليفونها المحمول فتنظر إليه فتجد اسم صديقتها "دانا"، فتتذكر أن عيد ميلاد دانا اليوم وأنها تأخرت على الحفل، تمسح دموعها سريعا وتحاول أن تستعيد قواها وترد على

موبايلها قائلة " عقبال مليون سنه يا دودو وأنا مسافة الطريق وأكون عندك".

(١٣)

في الحفلة السيدة الجميلة الهيئة والملامح "كوثر" حرم رجل الأعمال الوقور الناجح "شوكت"، ولديهما من الأبناء " دانا وفارس".

دانا متزوجة حديثاً وزوجها مقيم بالخارج، تسافر له دائمًا بين الفترة والأخرى. وحينما تعود لمصر تسكن مع أسرتها في ڤيلتهم.

فارس أخوها الأصغر (شاب) في العشرينات.

هم عائلة تعيش حياة مرفهة جداً ولكنهم يحبون الخير لكل الناس ويخافون الله.

دانا وفارس يرقصان مع أصدقائهما في الحفل مع وجود أحد المطربين المشهورين لإحياء الحفل.

الأب هو الوحيد الذي لم يتمكن من حضور عيد ميلاد ابنته وهذا خارج عن إرادته نظراً لانشغاله بالعمل بإحدى الدول الأجنبية، مما

جعل الأم " مدام كوثر" تقوم بإجراء اتصال به وتعبر عن غضبها لعدم حضوره.

يجاوبها بأنه ليس حفل زفاف لكي تغضب كل هذا الغضب وانه هو الذي ينقصه التواجد معهم.

وبالتالي هو الخسران أكثر منهم.

تنتهي المكالمة فتعبر السيدة كوثر لإحدى صديقاتها بالحفل عن رغبتها في الطلاق منه.

تندهش الصديقة!!!!! وتقول لها "حرام عليكي، ده كل الناس بتحسدكم على حياتكم وأولادكم".

كوثر: "مش قادرة أستحمل حياه من غير عواطف، حياه الحب فيها عبارة عن رسميات ومبادئ وقيم من غير وقت للمشاعر والأحاسيس.

هذا وحكمة مندمجة مع دانا وباقي أصدقائهما في الرقص والاحتفال، إلى أن تقع عيناها بالصدفة على "مدام كوثر" وتشعر أن هناك شيء ليس على ما يرام، فتلفت نظر دانا إلى أن أمها ليست على طبيعتها.

فتجاوبها دانا:

"أكيد إتخانقت مع بابا عشان ماحضرش الحفلة، عادي ده الطبيعي".

(١٤)

د.آدم في عيادته يستقبل حالاته الذين يأتون إليه من كافة أنحاء المدينة لثقتهم به ولأنه يجمع بين القوة والحزم مع روح الدعابة والراحة النفسية التي يمنحها لهم.

بعد الانتهاء من عمله يتذكر "حكمة"، فتذوب قوته ويقل حزمه، ويتجه لكرسي مكتبه.

يجلس في هدوء وينتابه الشغف للسؤال عن حكمة.

يستدعى مسؤوله الحجز ليسأل عنها ثانيه ولكنه يرجع عن قراره استحياء من سؤاله المتكرر عنها.

(١٥)

حكمة تقود السيارة في هدوء وبدون موسيقى عائدةً من حفل عيد ميلاد دانا وبالصدفة ترى إنسان كانت تربطها به علاقة مهمة، يُدعى "سعيد" يحمل طفلاً صغيراً ومعه زوجته.

تقف حكمة جانباً بسيارتها وتظل تتابعه بعينيها وتطيل النظر إليه، إلى أن يغيب عنها وتتذكر المشاهد التالية:

المشهد الأول:

حكمة وسعيد في عمر المراهقة في الصف الأول الثانوي، وبعد إنتهاء الدرس الخصوصي يقفان أمام الباب حيث تسلم حكمة على سعيد وتشعر بكفه وكأنه يعانق كفها ويدور بينهما هذا الحوار:

حكمة: مع السلامة يا سعيد، أنا بكره ميعاد طيارتي مسافرة لبابا الكويت إجازة عشرة أيام".

سعيد: إنتي مش عارفة لما بتسافري ببقى متضايق أد إيه، مش بحب أجي الدروس وإنتي مش موجودة، وبفضل أعد الأيام.

حكمة: إحنا هنبقى مع بعض دايماً على التليفون وهحكيلك كل حاجة بتحصل وأنت كمان تحكيلي.

سعيد يعطي قُبْلَةً لحكمة على جبينها، ويرى إحمرار وجنتيها، فيشعر بالنشوة ويمر بأصبعه على خدها وقد أطال النظر إلى عينيها. وأثناء ذلك يراهما ولد يمر بالشارع فيلقي عليهما عبارة سخرية " البوسة مش من هنا يا ناصح هههههههه "

ينفعل سعيد على الولد ويكاد أن يشتبك معه ولكن حكمة تُهَدْأُ من عصبيته.

المشهد الثاني:

سعيد وحكمة في الجامعة مع أصدقائهما من ضمنهم "دانا" ويخططون للرحلة الجامعية التي سيسافرونها في اليوم التالي في ضحك وسعادة ومرح.

وهكذا تظل حكمة تتذكر العديد من الذكريات الإيجابية التي جمعتها بسعيد وقد ظهرت الابتسامة على وجهها بشكل لا شعوري، إلى أن يجول بخاطرها آخر مشهد، فتختفي إبتسامتها فجأة:

حكمة: مش هقدر أكسر بخاطرها يا سعيد.

سعيد: يعني إيه؟ إنتي بتهزري أكيد !!!!

حكمة: الست دي أنا بعتبرها حد من أهلي وولادها دانا وفارس دول إخواتي.

سعيد: أنا هقولها أن أنا بحبك إنتي وإن دانا دي مجرد بنت خالتي ومن بعيد مش أكثر، يعني زي أختي.

حكمة: أرجوك أنا مش بطلب منك غير إننا نصبر لحد ما دانا تتجوز وساعتها لما تقولها تكون هي راضية. دي هي اللي مربياك وبتعاملك زي إبنها، ففيها إيه لما نصبر !! وأنا مستحيل لو ييجي حد يتقدملي هوافق فخلاص الأمر محلول.

سعيد: هي بتهمك أكتر مني أنا ؟!!!!

حكمة: دول أهلك يا سعيد واللي ملوش خير في أهله ملوش خير في حد، وهي بتحبك وعوزاك لدانا بنتها، ودانا عمرها ما هتوافق لأنها عارفة إننا بنحب بعض فمافيش عندنا أي مشكلة غير إننا نصبر شويه.

سعيد: مافيش صبر لازم تقرري حالا.

دانا: إيه يا سعيد ده !!!

إنتَ عمرك ما كنت كدى !!!

هو إنتَ ليه بعد ما ربنا إداللك وبقى عندك شركة بقيت بتتكلم كدى!!!

أنا ملاحظة إنك إتغيرت كتير !!!!

إزاي تكسر بخاطر الست اللي مرباك وهي كمان خالتك !!!

سعيد بكل حده: إنتي إزاي تتكلمي معايا كدى.

ويترك حكمة ويذهب.

تكتم حكمة بداخلها شعورها فتتسمر مكانها، إلى أن تمتلئ عيناها بالدموع من الصدمة.

حكمة تتصل بدانا وتروي لها ما حدث، فتصمم دانا على أن تتحدث هي لوالدتها.

توضح لها حكمة أن المشكلة ليست في هذا الأمر ولكن المشكلة في تغير شخصية سعيد دائماً للأسوأ كلما أكرمه الله بشيء جيد بحياته.

بعدما تذكرت حكمة هذه المشاهد أفاقت من ذكرياتها وعيناها ممتلئتان بالدموع، فتذكرت أنها بسيارتها في الشارع، فمسحت دموعها وتحركت بسيارتها. وقررت الذهاب للدكتور آدم مرة أخرى العيادة.

(١٦)

دكتور آدم يقرر الذهاب لإنجلترا لزيارة صديقه الدكتور ميلر.

د/ميلر يدعو صديقه د/آدم للسهر معه في إحدى الأماكن لكي يُعِّرفه على مجموعة من أصدقائهما هناك.

وبعد قبول الدعوة وأثناء جلوسهما بمفردهما على البار في بداية السهرة وقبل استقبال أصدقائهما، أخذ د/آدم يعبر لصديقه عن إحساسه في الفترة الأخيرة بأنه كان في أشد الاحتياج للسفر، وذلك للقيام بعملية الفصل النفسي نظرًا لكثرة الضغوط عليه من استقبال حالات كثيره في العيادة.

يرد د/ميلر أنه شعر به ولذا كانت أول دعوة يقدمها له في هذا المكان لأن الموسيقى والرقص من أهم المقومات السيكولوجية للإنسان وخاصةً للدكتور النفسي بالتحديد، فلابد وأن يفصل، حتى يستطيع استرجاع قواه لمساعدة حالاته مرة أخرى.

أثناء حديثهما حضر الأصدقاء بالفعل وكان من بينهم رجل الأعمال/ شوكت زوج السيدة/ كوثر ووالد دانا وفارس.

كانت هذه من أهم الصدف في حياة د/آدم ولكنه لا يعرف إلى الآن أن حكمة التي يبحث عنها كثيرا هي أهم صديقة لابنة هذا الرجل.

(١٧)

وصلت حكمة لعيادة د/آدم لطلب كشف. فتفاجأت من حارس العمارة بأنه سافر في إجازة ولا يوجد من ينوب عنه في غيابه والمكتب مغلق.

تشعر حكمة بالضيق لأنها كانت في أشد الحاجة للتحدث لدكتور نفسي، ويجول بخاطرها أن تذهب لدكتور آخر ولكنها لا تشعر بالرغبة في ذلك وخصوصا أن د/آدم هو من استمع لشكواها في المرة الأولى وشعرت بالإرتياح في حديثها معه، فلا يوجد داعي للذهاب لدكتور آخر تبدأ معه الفضفضة من جديد.

(١٨)

حكمة تعود لمنزلها بعدما غربت عنها الشمس، وحمل لون السماء ظلاماً ممزوج بالقليل من الضوء الأبيض الذي يشع الأمل لمن يدقق النظر فيه، ولكن حكمة لم تنظر إليه.

بات الضيق في صدرها يعيق أنفاسها فشعرت بأنها في احتياج شديد لحضن تتحدث إليه عن أحاسيسها التي اختلطت عليها وأحست بغربتها عن نفسها.

أمسكت بهاتفها المحمول وظلت تبحث في كل الأسماء لعلها تشعر بالرغبة في التحدث مع أحد منهم، ولكنها اكتشفت في هذه اللحظة أنه برغم كثرة الأسماء المسجلة على هاتفها إلا أنها وحيدة ولا يوجد لديها رغبة في التحدث مع أحد منهم.

فقالت لنفسها:

ياااه معقول!! معقول كل الناس دي في حياتي وأنا مش حاسة إن أي حد فيهم هيفهمني!!!

حتى مع اللي بحبهم وبيحبوني دايما أنا اللي بسمع وأنا اللي بطبطب وأنا اللي بحل، طيب أنا مين يسمعني ومين يفهمني ؟!!!!

طيب أتكلم مع بابا ؟ لا مش هتكلم معاه لإن أنا نفسي مش عارفة أنا مالي، فمش عاوزه أضايقه وخلاص.

طيب أتكلم مع دانا؟ دي أقرب صديقه ليا؟ صحيح دانا أقرب صديقه ليا بس مش بتفهمني بحس إن تفكيرها مختلف عن تفكيري تماماً، بحس إن إحنا بقينا أخوات مش أصدقاء ولكن مش بتفهمني.

طيب أتكلم مع أصحابي الثانيين؟ لا كلهم برده إتجوزوا وبقى ليهم إهتمامات تانية خالص ومش بيفهموا إحساسي.

بس أنا بلوم عليهم ليه؟ إذا أنا نفسي مش فاهمة نفسي.

الله يرحمك يا ماما، مالحقتش أتهنى بيكي في الدنيا، يا ترى لو كنتي عايشه كنت هتكلم معاكي؟ ولا هخاف أضايقك زي ما بخاف أضايق بابا وهسكت؟

تستغرق حكمة في الحديث مع ذاتها حتى تحتضن نفسها، ويقترب جسدها ببطء لسريرها، إلى أن تجلس عليه مكسورة الخاطر، وتقرر دمعتها النزول من عينيها في صمت، وكأنها تقول:

"هل من أحد يشعر بي؟ هل من حضن يضمني؟".

بكت حكمة والناس نائمون، إشتد خوفها ولا يشعرون، فأخذت وضع الجنين ودمعتها ترافقها، إلى أن إحتضنها النوم.

(١٩)

د/آدم مازال في لندن وبالفعل أصبح بينه وبين رجل الأعمال "شوكت" معرفة جعلتهما يمارسان رياضة المشي في إحدى النوادي بلندن، يتناقشان في أمور الحياة أثناء المشي، منتظران أن ينتهي د/ميلر من عمله ويأتي إليهما لتناول وجبة الغذاء في النادي.

يتحدث شوكت عن نفسه لآدم قائلاً:

أنا تقريباً لفيت العالم كله بس مافيش زي مصر في الإحساس. وللأسف بحكم إني متواجد أغلب الوقت خارج مصر وبحكم طبيعة عملي فأنا بقيت أكثر عملية، لدرجة إني تقريباً بدأت أنسى إن في حاجة إسمها عواطف ومشاعر.

ينظر للسماء قائلاً:

أنا لولا خوفي من ربنا تقريبا كان زمان الكبرياء ذبحني.

يتوقف شوكت عن المشي وينظر لآدم:

تخيل يا آدم شعور إنك مش محتاج لأي حد في الدنيا، وإنك عندك كل حاجه مكفياك لدرجة إن معندكش مشاكل أصلا.

د/آدم: أعلى نسبة إنتحار في السويد بسبب إن الناس هناك بيظنوا إن مش عندهم مشاكل.

شوكت: بيظنوا !!! يعني أنا بظن ؟!!!

آدم: طبعاً لأن كون إحتياجك للمشاعر دي أكبر وأهم مشكلة وخصوصاً إنك متجوز وعندك أولاد وعندك صحة وشغل وفلوس يعني تقريباً عندك كل حاجة في الدنيا من وجهة نظرك.

شوكت: أنا بتستهويني أوي شخصية الدكاترة النفسيين، بحس إن عندي حب استطلاع لحقيقتهم من جواهم. وازاي بيبقى عندهم قدرة إنهم يفصلوا بين أحاسيسهم الداخلية والمهنية اللي لازم يتعاملوا بيها؟ إزاي بتقدروا تعملوا ده ؟!!!

هنا يتذكر آدم بينه وبين نفسه سؤال حكمة " إزاي أقدر أكون قوية من غير ما أفقد إنسانيتي؟ ".

يشعر شوكت بأن آدم سرحان فيقول:

إيه يا دكتور؟ روحت فين؟ بقولك يعني لو إنت صعبان عليك حاله جاتلك العيادة وإنت بتسمعها فمستحيل هتدمع عينيك مثلا لإن إنت بالنسبة لها مصدر قوة صح؟

آدم يشرد بذهنه مرة أخرى قائلاً:

صح بس بيني وبينك الدموع أصلاً قوه مش ضعف لأن الإنسان بيساعد بيها نفسه إنه يخرج الطاقة السلبية اللي جواه، والدموع بتخليك على طبيعتك الإنسانية أكثر وأكثر بس للأسف احنا اللي بنتربى من صغرنا على مفاهيم غلط.

شوكت: كانوا دايماً يقولولنا وإحنا صغيرين إنت راجل مينفعش تعيط لحد ما كبرنا على أن الدموع للرجالة بتقلل من رجولتهم ولكن البنات لما يعيطوا يصعبوا عليهم، ويدوهم حنان وعواطف عشان صعبوا عليهم. يعنى واخدين حقهم تالت ومتلت وفي الآخر يقولولك حقوق المرأة.

ويتبادلان الضحك ويصل إليهما صديقهما الثالث ميلر.

(٢٠)

والد حكمة مع أخيها أحمد في المنزل، يعاتبه على مشاجرته مع بلطجية استهزأوا به في الشارع وهو مع صديقته.

أحمد بغضب: أُمال ليه بتربونا على الكرامة؟!!

الأب يعلو صوته ثم يقول بحدة: يعني إنت تحط نفسك في مصيبه؟!! عجبك أنك اتعورت وروحت قسم الشرطة؟

ثم يحنو صوته وتنخفض نبرة غصبه قائلاً:

يا بني إحنا مش وش بهدلة. هو الكلام بيلزق؟

أحمد: لأ مش بيلزق بس بيعمل حاجه أقوى من اللزق، بيوجع في القلب، ولا إيه يا ستي؟

الجدة ذات السمع الضعيف: لزق؟ عاوز لزق.

أحمد: يا لهوي.

الأب: أنا راجل كبرت خلاص، بقيت ٧٠ سنه واللي في سني دلوقتي بيقعدوا معززين مكرمين من غير مشاكل. روح دور على شغل أحسنلك.

أحمد: كل ما أقولك حاجة تقولي أنا راجل كبير أمال جبتني ليه؟ جيبتني لمين يربيني؟

الجدة: إديني!! أديك إيه يا أحمد؟

أحمد: يا لهوي، إديني طلقه في دماغي موتيني يا ستي، نامي نامي يا ستي الوقت أتأخر.

حكمة في غرفتها تستمع لحوارهم وتتأثر بجملة الأب وتتذكر مشهد لوالدها وهم صغار وهو في ريعان شبابه وقوته، وتشعر بالخوف والحزن لضعفه الحالي.

الأب: أنا ربيتك خلاص مش لسه هربيك في سنك ده. اللي في سنك متجوزين وعندهم عيال بيربوهم.

حكمة تتظاهر بالقوة وتمسح دموعها وتخرج للصالة حيث المناقشة بين أبيها وأخيها وتقول:

خلاص متضايقش بابا يا أحمد، إنت أهم حاجه اهتم بعلاقتك بربنا وهو إن شاء الله هيحميك من أي حاجه وهيوفقك في مشوارك بتاع التمثيل، وأنا اللي خلاني أقولك كدة عشان شايفاك مش مواظب على صلاتك، وده غلط يا أحمد.

أحمد بحزن: تمثيل !! إنتي بتحلمي؟!! كل اللي بيوصلوا إما ابن الفنان فلان أو المنتج فلان أو المخرج فلان. كله بالواسطة.

حكمة: بس أنت موهوب وهم حتى لو وصلوا بالواسطة مش هيكملوا لو مش عندهم الموهبة.

أحمد: موهبة، هههههه، عملنا إيه بالموهبة؟ ما أنا قولتلك كلميلي أم صاحبتك دانا أو أبوها، عندهم علاقات كتير ويقدروا يساعدوني.

حكمة تفكر في كلامه.

(٢١)

كوثر مازالت في صراع داخلي لإحساسها بفقدان لحظات التمتع بالمشاعر، بالرغم من أنها تتزوج من رجل أعمال يحسدها الآخرون عليه. والمفاجأة أيضًا أن زوجها قد عبر عن نفس الشعور لد/ آدم.

الزوج والزوجة يشعران بنفس الأحاسيس ولكن لا يعلم أحدهما عن إحساس الآخر لضيق الوقت الذي يجمع بينهما، ولأنهما لم يعتادا التعبير عن مشاعرهما بكل بساطة.

وهنا يأتي مشهد له مغزى هام جداً، حيث قررت كوثر طلب الطلاق من زوجها بجدية.

أخذت تستعد يومياً للحظة رجوعه من لندن لطلب الطلاق.

استعدادها هذا لم يكن استعداداً بأجهزة وأدوات ولكنه كان استعداداً داخلياً.

كيف ستمتلك الجرأة وتُقدِم على هذه الخطوة؟ هل لديها الضمانات بأن توابع هذه الخطوة ستكون مريحة نفسياً لها؟ ماذا عن نفسية دانا وفارس؟ وكلام الناس؟ وشوكت نفسه ورد فعله ؟

كل هذه أسئلة تجول بخاطرها وتخلق صراع داخلي لديها بين احتياجها للحب وبين الواقع من " أولاد – عمرها الزمني هي شخصياً – نظرة المجتمع – العِشْرة مع الزوج على مدار ثلاثين عامًا لم يقصر في حقوقها سوى أنه لا يوجد لديه وقت للمشاعر". ماذا بعد الطلاق؟ أين البديل؟ هل الطلاق هو الحل؟

ظلت كوثر في صراع داخلي مع التفكير بهذه الأسئلة عدة أيام منتظرة عودة شوكت من لندن.

(٢٢)

مرت أيام وكوثر في نفس الصراع، وأثناء مشاهدتها لأحد المسلسلات التركية واندماجها مع مشهد رومانسي بين الحبيب وحبيبته، تلقت اتصال هاتفي من صديقتها "هالة".

كوثر في اشتياق لصديقتها: هالة فينك؟!! وحشتيني . رجعتي من السفر؟

وإذا بمفاجأة حيث تسمع كوثر صوت خارج التليفون يقول لها آه وإنتي كمان وحشتيني.

كوثر تنظر للخلف فتجد ابنها فارس قد عاد من سفره، فيسقط تلفونها بشكل لا شعوري من يديها وتقفز قفزة سريعة نحوه.

يعبران عن اشتياقهما لبعض بالأحضان والقبلات.

تفرح كوثر كثيراً بمفاجأة فارس ابنها لها وتنسى ما كانت به من ضيق. حتى يفاجئها فارس بأنه اتصل بوالده وهو على وصول الأن أيضاً. فتتذكر كوثر قرارها وتخفيه عن ابنها.

بالفعل يصل شوكت من لندن فيستقبله ابنه باشتياق وهذا ما جعل كوثر تؤجل طلب الطلاق حتى لا تعكر فرحة الأبن بأبيه.

(٢٣)

في الليل شوكت وكوثر نائمان على سريرهما، بعدما أعطى كلٌ منهما ظهره للآخر.

تملكهما احتياجهما للجنس.

بادر شوكت بالإلتفات بجسده نحوها، وأخذ يفك رابطة شعرها التي قد اعتادت منذ فترة على ربطه نظراً لغيابه الطويل عنها.

تركت أصابعه تتخلل شعرها، أغمضت عينيها لترتوي من لمساته دون أن تلتفت إليه.

اقترب بجسده أكثر نحوها، ومازالت يداه تتحسس جسدها، نزولاً من شعرها إلى جسدها الذي كان متعطشاً لهذه اللمسات.

ومازالت هي لا تلتفت إليه.

اقترب من أذنيها يهمس: وحشتيني، إيه هتنامي دلوقتي!!!

لم يدرك أنها لا تريد النوم ولكنها تأخرت في الالتفات إليه لأنها تريد أن تسمع المزيد الذي طالما حُرِمَت منه بسبب إنشغاله الدائم عنها.

ردد بنبرةٍ تميل إلى الترجي: وحشتيني، وحشتيني.

حركت كلماته غريزتها فإلتفتت بلهفةٍ لتجد شفتيها تعانق شفتيه، وأخذا يتبادلان النشوة حتى ذابت بين يديه.

بعد إنتهاء الشهوة شعر كلٌ منهما أنه براحة وقتية، مما جعل كوثر تفتقد الدافع الداخلي لطلب الطلاق.

سرعان ما زالت هذه الراحة عندما جاءت السفرية التالية لشوكت. عادت كوثر لنفس الشعور مرة أخرى، وزاد على ذلك أنه بعد عدة أيام جاء وقت سفر دانا لزوجها في الخارج لاستكمال كورس تدريبي في الأزياء، فعادت كوثر للشعور بالفراغ العاطفي مرة أخرى.

(٢٤)

قررت حكمة مساعدة أخيها أحمد وبالفعل اتجهت لمنزل دانا صديقتها لتطلب منها أن تستعين بأمها السيدة كوثر أو أبيها رجل الأعمال شوكت للتحدث إلى أحد معارفهما لإعطاء الفرصة لأخيها لخوض مجال التمثيل.

وصلت حكمة لقيلا أم دانا، أخبرتها الخادمة بأن دانا سافرت، ولا يوجد غير السيدة كوثر فقط.

دخلت حكمة لتلقي التحية على كوثر على سبيل الود والاطمئنان ولربما تطلب طلبها منها مباشرة.

فوجئت بأن السيدة كوثر تجلس أمام التلفاز وتدخن السجائر لأول مرة وهي بحالة من الملل والحزن.

شعرت حكمة أن كوثر تفتقد شيئاً ما وكأنها استسلمت من كثرة البحث عنه. ودار بينهما الحوار التالي:

كوثر: إتفضلي يا حبيبتي.

حكمة: كنت جاية لدانا وفوجئت أنها سافرت وعرفت إن حضرتك هنا فحبيت أسلم عليكي.

كوثر: أه دانا سافرت وكلهم سافروا.

حكمة: وحضرتك محبتيش تسافري معاهم؟

كوثر: كل واحد فيهم في بلد ومسافر لشغلة.. أسافر أعمل معاهم إيه؟ محدش هيكون فاضيلي.

حكمة: حضرتك مروحتيش شركتك النهارده؟

كوثر: مروحتش من شهر

حكمة تتعجب: معقول؟!!! ليه !!! ده حتى حضرتك كنتي مش بتستحملي تقعدي يوم من غير ما تتابعي كل حاجة بنفسك !! عفوا تسمحيلي أسألك مالك؟

كوثر تسكت قليلاً: إسمحيلي أنا اللي أسألك، إنتي بتحبي يا حكمة؟

حكمة يجول بخاطرها سعيد وتنظر بنظرة حزن إلى كوثر.

كوثر تدمع عيناها وتضم حكمة إلى حضنها: حبيبتي لازم تحبي وتتحبي متخليش الأيام تسرقك لأن أهم حاجة في الدنيا العاطفة..

(٢٥)

د/ آدم ورجل الأعمال "شوكت" في المطار في طريق رجوعهما لمصر وأثناء رحلتهما يقدم شوكت الدعوة لآدم لزيارته بڤيلته في نهاية الأسبوع للتعرف على زوجته وأبنائه ويقبل آدم الدعوة.

(٢٦)

حكمة في منزلها مع والدها يدور بينهما الحوار التالي:

الأب: كلمتي دانا عشان أخوكي، بدل ما هو ملموم على أصحابه الفاشلين دول ولا شغلة ولا مشغلة؟

حكمة: دانا روحتلها لقيتها سافرت وماقدرتش أقول لمامتها لأنها كانت متضايقة أوي.

الأب: متضايقة من إيه؟

حكمة: مش عارفة بس شكلها زهقانة من الوحدة لأن ولادها وجوزها دايماً بيسافروا.

الأب: الوحدة !!! وحدة إيه !! أمال أنا أقول إيه؟

حكمة: وأنت وحيد يا بابا؟!! ما إحنا معاك أهوة مش بنسيبك أبداً!!

الأب تجول بخاطره زوجته رحمة الله عليها: الله يرحمها أمك يا بنتي، الزوجة حاجة والأولاد حاجة تانية خالص، مفيش حاجة في الدنيا تعوض الراجل عن مراته وخصوصاً لو كانت مراته دي واحدة زي أمك.

يشرد الأب بذهنه وكأنه يخفي شيئاً قائلاً: وحتى لو جات بعدها مليون ست فإستحالة تعوضها.

أثناء حوارهما إذا بجرس الباب يدق.. إنه أحمد يدخل المنزل ومعه أحد أصدقائه ويحملان أدوات " مايك – سيديهات – سماعات استريو".

الأب: إية اللي معاكم ده!!!

أحمد: هنعمل استديو صغير هنا بالأوضه بتاعتي عشان أسجل عليه الأغاني بتاعتنا.

الجدة: الأماني؟ مش بتمنى حاجة يا حبيبي غير إنكم تكونوا كويسين وتريحوا أبوكم.

أحمد يضحك وبروح الفكاهة يقول: وأماني بتسلم عليكي يا ستي، أدخلي نامي يا ستي الوقت إتأخر.

(٢٧)

شوكت وكوثر في منزلهما، وتقرر كوثر أن تطلب من زوجها طلب لأول مرة بحياتها تطلبه.

كوثر: شوكت أنا محتاجة أسافر لوحدي.

شوكت: طيب وإيه المشكلة هي يعني دي أول مرة تسافري؟ سافري تابعي شغلك عادي.

كوثر: لأ أنا مش هسافر في شغل أنا هسافر لوحدي من غير أي حد من الموظفين، هسافر محتاجة أقعد مع نفسي شوية في بلد تانية.

شوكت يتعجب: !!!! مش فاهم !!! هتسافري فين؟

كوثر: لبنان

شوكت: طيب على راحتك اذا حاسة إن إنتي محتاجة لكده إعمليه!!!!

يزيد شعور كوثر بالضيق فقد كانت تنتظر منه أن يدير حوار معها ويضمها الى صدره ويسألها عن شعورها الذي جعلها تأخذ هذا القرار، تبتلع ضيقها وتخبئه بداخلها وتتظاهر بالقوة قائلةً بحدةٍ:

أنا طيارتي النهارده بالليل.

شوكت: النهارده !!! مقولتيش يعني ؟

كوثر: عادي قررت فجأة .

شوكت: دة أنا عازم صديق لي عشان يتعرف عليكي إنتي والأولاد، طيب إمتى هترجعي عشان ءأجل العزومه؟

يزيد شعور كوثر بالضيق ولسان حالها يقول بداخلها:

هو ده كل اللي همك !! العزومة !! أصحابك والبروتوكول !! ثم تقول له: أعتقد أن المدة هتطول شوية.

شوكت يشعر بأن زوجته ليست على ما يرام، يشعر بأنه يريد أن يسألها عن شعورها الذي جعلها تتخذ هذا القرار ولكن حبه لها ألهمه عدم الضغط عليها بزيادة الكلام، وفي نفس الوقت يشعر أنه خائف عليها، فيضغط على شعوره بالإستجابة لمطلبها دون تضخيم الموضوع.

(٢٨)

أحمد أخو حكمة إنتهى هو وصديقه من تسجيل أكثر من أغنية لهما ويستعدان لإحياء فرح لأحد أصدقائهما ، وهذه أول تجربة لهما في الغناء أمام الجمهور، لذا يكثفان تدريباتهما بالمنزل.

الأب منزعج من الصوت العالي، يدخل عليهما الغرفة قائلاً: بس بس ايه الازعاج اللي انتوا بتغنوه ده!! انتوا فاكرين نفسكم عبد

الوهاب!! الأغاني زمان كان ليها معنى، الله يرحمك يا عبد الوهاب لو كنت لسه عايش كنت نظفت ودانك بديتول.

حكمة فرحانة لفرح أخيها، تصفق وتردد كلمات أغانيه. حتى يطلب منها أحمد أن تأتي لتحضر الفرح لتشاركه أول تجربة له. وبالفعل وافقت حكمة وطلبت من أبيها أن يحضر معهما. خجل الأب من ذلك وقال:

يا بنتي أنا راجل كبير هو أنا عيل هروح أفراح ناس معرفهاش؟

حكمة: يا بابا تعال بدل ما أنت قاعد زهقان ومش بتخرج خالص، اطلع شوف الناس والدنيا.

الأب: أنا ياما روحت وشفت ولفيت مصر كلها، كنتوا فين انتوا أيام ما كنت في الجيش، ده أنا معايا شهادة بطولة، كنت ماسك غرفة التحكم باللاسلكي في الحرب، ده أنا قعدت في إسكندرية ٣ سنين والعريش ومرسى مطروح، يااااااه أيام..

حكمة لأحمد: إيه رأيك نأخذ ستك معانا حرام دي مش بتخرج خالص.

أحمد بروح الفكاهة: آه عشان الصوت يخرم ودانها أكثر ما هي ضايعة وتجبلنا مصيبة.

(٢٩)

أحمد وصديقة وحكمة وصلوا الفرح، حيث أحمد تظهر علية علامات الفرح والأمل والارتباك في نفس الوقت.

الصديق يسير وهو يرقص ويصفق قائلاً: يا عم أحمد إنت خايف من إيه؟ إحنا هنجلجل ونولعها دلوقتي.

أحمد مبتسم بروح الفكاهة: والله طول ما أنت معايا شكلهم كدى هيولعوا فينا.

يسلمان على العريس والعروسة وعلى باقي معارفهما بالفرح.

تجلس حكمة على إحدى طاولات المعازيم ويذهب أحمد وصديقة لتجهيز أدواتهما إستعداداً للظهور أمام الجمهور لحين إنتهاء فقرة ال "دي جي".

حكمة تنظر إلى العروسة والعريس ويجول بخاطرها سعيد، وتسرح بخيالها إلى أن تسمع تقديمة العريس لأخيها:

العريس: النهاردة في فرحتى دي أصحابي وحبايبي نجوم مصر الجايين إن شاء الله هم اللى هيحيوا فرحي النهاردة.

يصفق الجمهور تصفيق حار.

يبدأ أحمد وصديقة في الظهور ويبدأن مطلع الأغنية بقوة والجمهور يصفق ويصفق ويصفق وفجأة ينقطع الصوت.

يعتذران للجمهور ويحاولان تصليح العطل ولكن بلا جدوى.

يعتذران ويحاولان أكثر من مرة ولكن بلا جدوى أيضاً.

ينكسر أحمد ويشعر بخيبة الأمل والإحراج، وينزل من أعلى المسرح متجهاً للخارج.

تلاحقه حكمة: أحمد أحمد أحمد .

لا يسمعها عن دون قصد فهو مكسور الخاطر فينسى أن أخته معه.

تلاحقه حكمة الى أن تصل إليه.

ينظر إليها في حالة من الخجل أمامها وكسر الخاطر.

حكمة: عادي يا أحمد، دي حاجة خارجة عن إرادتك.

أحمد: أنا فاشل.

حكمة: فاشل !!!!! لأ طبعا إنت شفت لما بدأت الناس كانت بتصفقلك ازاي؟ أمال لو إنت بقى مكان واحد زي عبد الحليم حافظ الله يرحمه أول ما بدأ كانوا بيرموه بالطماطم !!! انت عارف كده؟ وحاول أكثر من مرة وبقى العندليب عبد الحليم .

أحمد: دة كان زمان، أما أنا دلوقتي خلاص إتفضحت ومستحيل حد يطلبني في حاجة تاني. أنا قولت من الغناء هوصل للتمثيل، ما كتير بيبدأوا كده. انتي شفتي أبو العريس كان بيبصلي ازاي؟ الناس معتمدين عليا وأنا بوظتلهم الفرح.

حكمة تشعر بكسر خاطر أخيها فتختفي ابتسامتها، وتحزن لحزنه ويتجهان لمنزلهما. وفي الطريق يغني أحمد بانكسار مطلع اغنيته المفضلة:

والله أنا لو مشهور .. عمري ما هكون مغرور .. وده حلم يا ريته يتحقق.. بس الواقع يتصدق .

(٣٠)

تعود دانا من سفرها وعندما تدخل الڤيلا تتفاجأ بأن والدتها سافرت بمفردها. يروي لها والدها ما دار بينهما فتتعجب دانا!!!! وتسكت وتمارس حياتها الطبيعية.

تتصل بصديقتها حكمة ليتقابلان.

يسمع شوكت مكالمتها مع صديقتها فيطلب منها أن تستعد هي وحكمة لاستقبال صديقه الجديد د/ آدم لأنه يخجل من تأجيل عزومته وخاصة أن أمها عبّرت عن أن موعد عودتها غير محدد.

(٣١)

د/ آدم في عيادته وقد عادت له طاقته للعمل مرة أخرى بعد عودته من لندن. وعلى وشك الإنتهاء من عمله ويستعد لزيارة صديقه الجديد رجل الأعمال شوكت.

آدم في سيارته يجري إتصالاً هاتفياً بصديقه ميلر:

آدم: إنت عارف مين عازمني النهارده وأنا رايحله دلوقتي؟ حبيبك شوكت.

ميلر: رائع جداً سوف تقضي وقت ممتع معهم لأن زوجته وأبناءه أشخاص في غاية الجمال والكرم.

آدم: ماشي يا سيدي، والله هتكون ناقصاك بس تتعوض إن شاء الله.

وأثناء ذلك يتفاجأ بشاب يظهر أمامه، فلا يتمكن من السيطرة على أن يصدمه بسيارته !!!!!!

يقع الشاب على الأرض غارقاً في دمه فيسرع د/ آدم بالنزول إليه ويتجمع حوله الناس في الشارع. ويوجهون إلى آدم عبارات رفض لما حدث ويلومونه على ذلك " حرام عليك اية ده ؟؟؟" " هوه انتوا راكبين عربيات عشان تمشوا في الشارع تدوسوا على خلق الله".

د/ آدم: والله يا جماعة هو اللي ماشي سرحان، أنا فجأة لقيته أُدام العربية.

يرتبك د/ آدم ويصرخ: طيب الإسعاف بسرعة الإسعاف الإسعاف الولد هيموت.

(هذا الشاب هو أحمد أخو حكمة).

(٣٢)

حكمة مع دانا في حديقة الڤيلا، تجلستان على الأرجوحة التي طالما اعتادتا الجلوس عليها.

حكمة مستلقيةً على وسادة الأرجوحة.

كعادتهما تستمع لدانا أكثر مما تتحدث إليها.

دانا تحكي لحكمة عن سفريتها وكيف كان الكورس رائعاً وتعلمت منه أشياءً كثيرةً في فن الأزياء.

شوكت بانتظار آدم، إلى أن يشعر بتأخيره عن الموعد فيحاول الاتصال به لكنه لا يجيب.

آدم في المستشفى مع أحمد الشاب الذي صدمه، وقد نسى هاتفه المحمول في السيارة من شدة ارتباكه.

(٣٣)

كوثر في لبنان وقد ارتدت إحدى فساتينها النهارية الأنيقة، ونظارتها الشمسية السماوية اللون، وحملت بيدها حقيبتها ذات الماركة الفاخرة، راكبةً في السيارة التي استأجرتها فور وصولها.

تطلب من السائق أن يتجول بها بشوارع لبنان.

تتأمل البشر والأماكن مع الإستماع لأحد أغانيها المفضلة لأم كلثوم "حكم علينا الهوى نعشق سوا وندوب.. أه يا عيني أه على الوعد والمقسوم.. عيني يا عيني أه على الوعد والمقسوم".

هنا تتذكر مشهدين من حياتها.

المشهد الأول:

لحظة تقدم شوكت لخطبتها، حيث كانت كوثر من أسرة متوسطة وشوكت من أسرة غنية جداً ومشهورة اجتماعياً. مما جعل الفرحة تخيم على كل أفراد عائلتها، وتفاءلوا بأن هذه الزيجة ستكون نقطة تحول هامة في حياتهم.

وبرغم كثرة البنات المرشحين لشوكت لخطبتهم إلا أنه اختار كوثر لشدة جمالها وعذوبة أخلاقها، فقد لمس ذلك من أول مرة وقعت عيناه عليها عندما كانت تتبادل الحديث مع إحدى صديقاتها في جامعة القاهرة بكلية التجارة، حيث كان قد أنهى لتوه مناقشة رسالة الماجستير وهذا ما جعله يستبشر أيضا برؤيتها ويقرر أن يفوز بها كزوجة له.

تذكرت كوثر اللمعة التي رأتها في عينيه يومها، وهي نفس اللمعة التي رأتها في عيون صديقاتها يوم خطبتها على شوكت. غير أن اللمعة الاخيرة قد اختلطت بنظرة الحب مع الغيرة.

المشهد الثاني:

لحظة رجوعها الى والدها المنزل في حالة من الضيق بعد خروجها مع شوكت بعد خطوبتهما، حيث شعر والدها انها بحالة من الصمت وسألها عن السبب فعبرت له بأنها تريد فسخ هذه الخطوبة، تعجب الأب وسألها عن السبب فقالت:

أن حياته دائماً مشغولة وأنه إنسان غير رومانسي.

ضحك والدها وقال لها أن تفكيرها عن الرومانسية سيتغير فيما بعد، بحكم السن وأن الرومانسية ليست أساس الزواج، فالزواج الناجح يعتمد على التوافق العقلي بين الطرفين والعطاء والإحترام المتبادل بينهما، مع الود والإنتماء الذي يشعر به كل طرف تجاه الآخر وهذا ما نسميه "العشرة" وأقنعها بالصبر وعدم فسخ الخطوبة.

(٣٤)

شوكت فقد الأمل في مجيء صديقه ولكنه لم يخطر بباله أنه قد يكون في مشكلة وإنما توقع أنه اندمج في عيادته، ولذا اتجه شوكت لغرفته استعدادا للنوم.

ظلت دانا مع حكمة في حديقة الڤيلا يضحكان ويتسامران الى أن طلبت دانا من حكمة الاتصال بوالدها لطلب الأذن منة للسماح لها بالمبيت عندها هذه الليلة.

إتصلت حكمة بوالدها فأعطاها السماح وقال لها: هدخل أنام انا وهسيب الباب مش هقفله بالمفتاح عشان لما ييجي أخوكي معاه المفتاح يفتح لأنه طبعاً هيتأخر برة زي كل يوم وأنا راجل كبير مش بتحمل السهر.

انتهت المكالمة بينهما وبعدها عبرت حكمة لدانا عن أن والدها يكرر جملة:

"أنا راجل كبير" كثيراً. وهذا يشعرها بالألم والخوف من أن تفقده يوماً ما بحكم عمره. ولكنها لا تستطيع أن تعبر له عن مخاوفها.

دانا كعادتها لا تهتم بمعنى هذه الأحاسيس التي تعبر عنها حكمة ولذا لا تناقشها فيها بل تُحَوّل دائماً النقاش بينهما لاتجاه آخر قائلةً:

إيه النكد ده ؟ سيبك إنتي تعالي بس أفرجك على الفساتين اللي صممتها.

حكمة تشعر كالعادة بأنها لا يمكنها التعبير عما بداخلها لصديقتها لأن كل منهما له أحاسيس واهتمامات مختلفة، ولكن بحكم أنها تحبها كثيراً فلا ترغب في مضايقتها بأحاسيسها فتحاول تناسيها والضغط على نفسها للإندماج معها في إهتماماتها من فساتين وأزياء.

(٣٥)

أحمد في حالة إغماء بالمستشفى، والأطباء والممرضات يحاولون إسعافه، ويسألون د/آدم عن أي معلومات عنه ولكنه يهز رأسه معبراً عن عدم المعرفة..

يحاولون البحث عن أي إثبات شخصية له ولكن دون جدوى، حتى هاتفه المحمول قد وقع منة أثناء الحادث ولم يلتفت إليه أحد. وبالصدفة رأى الهاتف ولد من أطفال الشوارع فأخذه.

(٣٦)

يستيقظ والد أحمد لقضاء صلاة الفجر ويقلقه تأخر إبنه، يحاول الاتصال به أكثر من مرة ولكن هاتفه أصبح غير متاح. فيتصل بصديق ابنه ويقول له أنه كان بانتظاره اليوم ولكنه لم يأتِ. يقلق الأب كثيرا ويطلب من صديق إبنه الحضور للبحث عنه.

إستمر الصديق أثناء الطريق يحاول الاتصال على جوال أحمد ولكن الجوال غير متاح فظل القلق مسيطر عليه، إلى أن وصل إلى والد أحمد مع ظهور نور النهار، ومازالا يحاولان الاتصال بكل أصدقاء أحمد ولكن بلا فائدة.

يشعر الأب بالضعف ويطلب إبن أخته المحامي للحضور إليه للبحث عن أحمد.

ينتاب القلق إبن الأخت ويأتي في عجالة ويحاول الاتصال على جوال أحمد، وبالفعل يرد عليه طفل الشوارع.

كان هذا هو الخيط الذي جعلهم يصلون عن طريقه إلى أن أحمد في المستشفى.

يطلب الأب من صديق أحمد أن يظل مع الجدة في المنزل لأن حكمة غير موجودة ولا يمكن أن تبقى الجدة بمفردها.

ويذهب هو وابن أخته المحامي للمستشفى.

يصلان المستشفى حيث د/ آدم مع الشرطة لإجراءات المحضر وأحمد في العناية المركزة.

يشعر الأب بالضعف وقلة الحيلة فتدمع عيناه لأول مرة أمام الناس ويرفع رأسه ويديه للسماء ويتحدث الى الله:

"يا رب إنت عالم إني مليش غيرهم في الدنيا، يا رب إنت عالم إن من بعد وفاة أمهم وأنا عايش جسم من غير روح، وروحي بتيجي تزورني بس عشانهم، بحق قدرتك ورحمتك تقوم إبني بالسلامة يا رب"..

يسمع د/آدم دعاء الأب فتختلط نبرة صوته بالحزن مع التبرير قائلاً: والله العظيم يا حاج هو اللي كان ماشي سرحان وفجأة لقيته أدام العربية.

الأب: كلها أسباب يا إبني، اتوكل إنت على الله إحنا جينا خلاص.

د/آدم يتعجب لطيبة هذا الرجل: مستحيل يا حاج أنا معاكم مش هسيبكم.

الأب يصمم على التنازل عن المحضر ويصمم على ذهاب د/آدم. ولكن آدم يوعده أنه سيذهب فور الاطمئنان على سلامة أحمد.

(٣٧)

كوثر تتناول وجبة الافطار في إحدى المطاعم المطلة على " الروشة " في لبنان وتتأمل البحر وإذا برجل لبناني الجنسية يدعى " السيد/ رأفت" يصغرها في العمر بعشر سنوات يتابعها بالنظر إلى أن يلفت انتباهها، فيفصلها عن لحظة التأمل في الطبيعة، مما جعلها تغير مكان طاولتها لأنها تريد الإستمتاع بالطبيعة ولا تريد أن يفصلها عن ذلك أحد بنظراته. فيدعوها لطاولته، فتتعجب كثيرا !!!!! وترفض طلبه.

يبادر بإعطائها كارته الشخصي وهو يعرفها بنفسه ويقول لها "أنتي ضيفتنا". فتأخذ الكارت من باب الذوق ولكنها تغادر المكان وتذهب. فيلاحقها دون أن تدري ليعلم مكان سكنها.

يتعجب له الموظف عنده والمرافق له في تنقلاته قائلاً:

السيد/ رأفت سعادتك بدك منها شي؟!

رأفت: ما بعرف يا أخي!! ما بعرف ليش عملت هيك!

(٣٨)

بوقت الظهيرة مازالت حكمة مع دانا مستغرقتين في النوم لأنهما سهرا كثيراً.

أحمد فاق من البنج وأكد الأطباء سلامة حالته وأنه بحاجة للراحة النفسية.

فرح جميع الحاضرين معه بالمستشفى لسلامته وصمم الدكتور آدم على ترتيب سفرية لأحمد لتحسين صحته النفسية على حسابه الخاص.

في البداية رفض الأب بإصرار ولكن آدم أقنعه بأنه دكتور نفسي وأن السفر شيء مهم جداً بمثل هذه الأمور وأنه سيتكفل بالمصاريف كهدية لسلامة أحمد وليس اكثر.

وتبادل الأب مع آدم أرقامهما.

إتصلت حكمة بوالدها وعلمت ما حدث فجاءت في عجالة إلى المستشفى وأثناء دخولها من الباب الأيمن كان د/آدم يخرج من الباب الموازي فلم يرها.

ذهب آدم لمنزله بعد نهاية ليلة مزعجة كثيراً بالنسبة له.

(٣٩)

بعد مرور أسبوع أرسل د/ آدم لأحمد تذاكر الطيران والإقامة بلبنان. فضلت حكمة أن ترافق أخيها بهذه الرحلة وبالفعل قاما بالترتيب لذلك. وعرضت حكمة على دانا أن ترافقهما في هذه الرحلة وخاصةً أن والدتها السيدة/ كوثر هناك منذ فترة، فهذه فرصة للالتقاء بها للاطمئنان عليها. وبالفعل وافقت دانا وبدأوا الإستعداد للرحلة.

حكمة لا تعرف الى الأن أن الدكتور الذي يحكي عنه والدها وأخوها هو نفسه د/آدم الذي ذهبت هي إليه عندما قررت لأول مرة في حياتها الذهاب لدكتور نفسي.

(٤٠)

حكمة وأحمد ودانا وصلوا لبنان في طريقهم للفندق.

تتصل دانا بأمها لتخبرها بمفاجأة انهم بلبنان ويريدون رؤيتها والإطمئنان عليها، ولكنها لم تجبها.

عندما وصلوا الفندق اقترح أحمد النوم والراحة قليلاً فرفضت دانا قائلة: لا إحنا مش جايين هنا ننام لا، أنا هحجز نروح مطعم فيه رقص للصبح. إنت في لبنان يا أحمد يعني شعب بيعشق الحياة.

(٤١)

دانا وحكمة وأحمد في المطعم حيث الغناء والرقص، واذا بالمطرب الذي يحيي الليلة يقترب من طاولتهم ليدعوهم للرقص، ويوجه الميكروفون لحكمة للغناء، فتشير له على أحمد.

يتذكر أحمد موقف الفرح الذي كسره نفسياً.

تشعر به حكمة فتصفق بصوتٍ عالٍ وتشجعه وتطلب من دانا التصفيق فيشجعانه سوياً ويهتفان أحمد أحمد أحمد....

يمسك أحمد بالفعل بالمايك ويبدأ بالغناء مندمجا مع الجمهور، ودانا وحكمة يرقصان ويشجعان أحمد أحمد....

واذا بمفاجأة غير متوقعه نهائياً بالنسبة لهم..

(السيدة كوثر أم دانا تدخل المطعم بصحبة السيد/ رأفت)..

يندهشون!!! ولكن سرعان ما يتداركون أنه أمر طبيعي فمن المؤكد أنه عشاء عمل.

دانا وحكمة تذهبان متجهتان إلى كوثر وهي تستعد للجلوس على الطاولة وإذا بها تسمع (ماما).

كوثر ترفع عينيها فتراهما فتندهش وترتبك ولكنها سرعان ما تحتوى الأمر؛ حيث تسرع قائلةً:

سلما على السيد رأفت، إحنا جايين نرتب لبيزنس مشترك..

تسلم دانا عليه وهي تشعر بشيء غريب ولكنها لا تعرف لماذا هذا الشعور، وتتذكر والدها حينما كان يحكي لها أن أمها لم تسافر للعمل.

يجلسون سويًا على نفس الطاولة وبعد عشر دقائق بالتحديد تستأذن كوثر من رأفت بحجة انها تحتاج الرجوع للفندق بصحبة ابنتها واصدقائها لأنها تشعر بالاحتياج للراحة.

(٤٢)

شوكت وآدم في النادي يلعبان التنس وبعد الإنتهاء يدور بينهما الحوار التالي:

آدم: مالك يا شوكت انت مش عاجبني اليومين دول؟

شوكت: مراتي سافرت وكل ما أقولها تعالي تقولي لسة نفسيتي محتاجة تغيير جو وعاوزه أقعد مع نفسي شوية.

يسكت قليلاً ثم يستكمل كلامه:

دانا بنتي راحتلها امبارح لكن كانت بتقولي إنها كلمتها عشان تشوفها مش بترد، مش عارف بقى ردت ولا إيه؟ انا نمت بعد ما كلمتها.

آدم: طيب ما تكلمها دلوقتي

شوكت: لا أكيد دانا نايمة هي معاها أصحابها، وعارفهم بيسهروا طول الليل زي هنا بالظبط.

آدم: أنا بقصد تكلم إنت مراتك مباشرة.

شوكت: مش عاوز أضغط عليها، بتقول عاوزه تقعد مع نفسها شويه.

آدم: هي وحشتك؟

شوكت: مش عارف.

آدم: حاسس ايه؟

شوكت: حاسس عاوز أطمن عليها.

آدم: إتصل بيها قولها حسيت إني عاوز اطمن عليكي فاتصلت.

شوكت: إيه يا آدم شغل المراهقين ده !!

آدم: لو شعورك ده بييجي للمراهقين بس ما كانش بقى جواك دلوقتي.

شوكت: بقولك إيه أنا راجل عملي بتاع بزنس، الخيالات اللي عندك بتاعة الدكاتره النفسيين دي مش معايا.

آدم: أنا بس حبيت أقولك أما تحس بحاجة ناحية أي حد قوله، ليه تشيل جواك وتقلق نفسك والحل سهل وبسيط مش مستاهل. وخصوصاً كمان إن دي مراتك.

شوكت متجاهلاً كلامه:

بقولك إيه.. سلام على تليفون بقى.

(٤٣)

يظل شوكت في صراع ما بين حبه واحترامه لزوجته الذي يجبره على احترام رغبتها في الإنفراد بنفسها وما بين الأصول والخوف عليها تارة وشعوره بأن هناك شيء غامض يرغب في فهمه تارة أخرى، إلى أن تتصل دانا به وتبلغه بأنهم في المطار في طريقهم للعودة لمصر.

يهدأ شوكت قليلا لتوقعه بأن كوثر عائدة مع إبنتها للمنزل، ويتأكد إحساس لديه بأن الأمر كان نوع من الملل وليس أكثر وخاصةً أن زوجته لم تباشر شركتها وأعمالها منذ فترة.

(٤٤)

حكمة ودانا وأحمد في مطار بيروت، حيث دانا يتملكها شعور بالإستغراب لحال والدتها وخاصة انها رفضت الرجوع معهم بهذه الفترة لأنها مازالت تحتاج لفترة استجمام وجلسة مع النفس.

هذا الشعور جعل دانا تشرد بفكرها بين حين وآخر وقَلّلَ من كثرة كلامها.

ولكن حكمة تشهر بصديقتها فتحاول قراءة أفكارها قائلة:

متتضايقيش يا دانا لأن طنط بقالها فترة باين عليها أن في حاجة مضايقاها ومحدش فيكم واخد باله من كدى، فسيبيها ترتاح شويه عشان نفسيتها تهدأ وتعرف ترجعلكم أحسن من الاول.

دانا: لأ في حاجة غريبة في الموضوع ده وأنا مش قادره أفهمها.

حكمة: ولا غريبة ولا حاجة ده الطبيعي لإن هي كانت متضايقه بقالها فتره وانا لفتت نظرك كتير وانتي مش مهتمه.

دانا: ياريت يكون الموضوع مجرد ضيق عادي.

تصمت دانا وتشرد بخيالها وكأنها تخفي سر ما، تريد أن تتحدث به ولكنها لا تستطيع.

(٤٥)

حكمة في غرفتها بعد العودة للمنزل، جالسةً على سريرها ترتدي بچامة وردية اللون، فهو اللون المحبب لها في أغلب ملابسها وأغراضها الشخصية.

تنظر للأرض ومن ثم لحوائط الغرفة ومن ثم لنفسها في المرآة التي أمام السرير في حالةٍ من الزهق الذي سرعان ما عاد إليها بعد الرجوع من السفر.

يدخل عليها أخوها أحمد:

أحمد: حكمة هو إنتي منبسطيش في الرحلة دي؟

حكمة: بالعكس إنبسطت جدا.

أحمد: أمال مالك؟ إنتي دايماً كدة زعلانه وقافله لنا وشك !! فكيها شويه.

حكمة: مش عارفة، أنا حاولت أقعد مع نفسي كتير في الرحلة دي عشان أجاوب على نفس السؤال ده، وطلعت بإني دايماً بحس إن ناقصني حاجة وكأنها ضايعة مني وبدور عليها بس أنا مش عارفة إيه هي الحاجة دي.

أحمد: أصل إنتي بصراحه يا حكمة حياتك مقفوله أوي، يعني إنتي بتشتغلي في العلاقات العامة يعني كل يوم بتقابلي ناس جديدة، وفي الآخر كل حياتك عبارة عن البيت ودانا وخلاص، فين أصحابك الكتير اللي كانوا أيام الجامعه؟؟

حكمة: كلهم إتجوزوا وسافروا أو بقوا مشغولين باهتمامات تانية.

أحمد: يا بنتي ده أنا لو في وظيفتك دي ده أنا كل يوم يكون لي صاحب، وكل يوم أتشقلب في مكان جديد، يا بنتي إتشيكي كده وإلبسي وعيشي سنك، إنتي مش بتشوفي البنات بره عايشه إزاي!! معقول عايشه الحياه دي ومش عوزه تكوني مخنوقه !!!

حكمة: ايوه مخنوقه. مستغرب ليه ؟ طبعاً مش فاهمني وممكن تقول عليا مش عندي رضا صح؟

أحمد: بالعكس أنا فاهمك جداً لأن أنا كمان دايماً عندي نفس الشعور ده.

حكمة: معقول لقيت حد في الدنيا أخيراً يقول أنه فاهمني!! إنت عارف دي كمان مشكلة تانية في حياتي إني دايماً بحس أن محدش فاهمني عشان إتكلم معاه.

تسكت للحظة وكأنها انتبهت إلى شيء هام فتقول: بس إنت ازاي حاسس إن في حاجة ضايعة منك ومش عارف إيه هي ؟!!! ما الحاجة اللي ضايعه منك معروفه وواضحة وصريحه جدا.

أحمد: معروفه !! هي ايه بقى؟

حكمة: حلمك ان انت تبقى فنان ونجم كبير ، وان انت لسه موصلتش لده فعشان كدى انت بتدور عليه.

تنظر للأرض.

إنما أنا مش عارفه مالي.

تعود بنظرها إليه: أقولك سر؟

أحمد: قولي.

حكمة: أنا روحت مرة لدكتور نفسي وارتحت معاه أوي، بس للأسف لما جيت أروحله مرة تانية لقيته سافر.

أحمد: طيب ما تروحي لدكتور آدم اللي خبطني بالعربية وسفرني، ده باين عليه شاطر أوي.

حكمة: آدم !! إنت عارف إن الدكتور اللي روحتله هو التاني اسمه آدم؟

أحمد: طيب خدي رقمه اهوه وابقي روحيله بدل ما انتي كدى. وبعدين إيه الكآبة دي !! أنا غلطان إني دخلتلك، ما تعيشي سنك بقى وتفرحي بالحياه كدى، ضيعتي عليا فرحة السفريه.

حكمة: والله !!! يا سلام !! طيب ياريت مش يومين وترجع تزهقني بالنجوميه اللي عاوز توصلها وتحسسني إنها نهاية العالم لو مبقتش فنان مشهور..

يتبادلان الضحك وتقول هي:

بس بجد يا أحمد أنا مش عوزاك تفقد الأمل أو تستنى حد يكلملك حد والكلام ده لأن لو حتى البشر ظلموك أو شايف من وجهة نظرك

أنهم بيمشوا الأمور بالواسطه فربنا عادل وكل ما سعيت فهو أكيد هيرضيك في الآخر لأن ربنا مش بيضيع تعب حد.

أحمد: ما أنا سعيت ومفيش فايده.

حكمة: على فكرة كل النجوم الكبار اللي أنت شايفهم دول ماطلعوش كدى في ثانية دول تعبوا سنين كتير عقبال ما بقوا كدى، أبقى أقعد وأسمعهم في اللقاءات لما بيستضيفوهم ويتكلموا وانت تعرف أن اللي أنت فيه ده حاجة طبيعيه جدا بس محتاج منك تصبر.

أحمد: مش كلهم ياما في ناس لعب معاها الزهر على طول من أول مره، وياما اللي اتوسط لإبنه ولبنته وادوهم الفرصة وطلعوا على طول.

حكمة: أنت ممكن يكون ده الظاهر اللي إنت شايفه أما اللي طلعوا مرة واحدة دول إنت مش عارف هم قاسوا إزاي في حياتهم في حاجات تانيه. ويمكن تكون إنت مش شايف الحاجات دي ولكن ربنا جازاهم بأنه طلعهم طلعة واحدة في شغلهم لكن إنت متعرفش همّ في حياتهم الخاصة اتحرموا من إيه؟

أحمد باستهزاء: هيتحرموا من إيه يعني ؟!!

حكمة: أحمد إنت أخويا وأنا مش عوزاك تكون كدى عشان اللي أنت فيه ده غلط.

أحمد: ما أنا بجد تعبان ومحدش حاسس بيا.

حكمة: عشان ترتاح بجد دايماً بص لنعم ربنا عليك ولما تتعامل مع الناس شوف ربنا حرمهم من إيه مش أنعم عليهم بإيه.

أحمد: بقولك إيه زمن المدينة الفاضلة اللي انتي عايشه فيه ده انتهى خلاص من زمان انتي في مصر.

يكررها: في مصر، في مصر. يعني الشباب موجوعه ومحدش حاسس بيها.

حكمة: أنا عارفه أن إحنا في مصر ودي نعمه من ربنا كفايا ان احنا عايشين في امان، بدل ما كنا نبقى في حرب زي بلاد كتير.

تتغير نبرة صوتها وكأنها تتحايل على نفسها وتبرر قائلةً:

أنا عارفة أن إحنا في مصر يعني عايشين عندنا أب والحمد لله وعندنا عيله وأصحاب لكن في ناس عايشة في ملاجئ أيتام، كفايا أن ربنا كرمنا ببابا صرف علينا لحد ما إتعلمنا في ناس تانية مش

لاقيه اللي يصرف عليها حتى في ابتدائي، روح شوف أطفال الشوارع...

أحمد: بس بس مش بقولك انتي كئيبه وعايشه في عالم تاني بس بس..

ويخرج من الغرفة.

(٤٦)

دانا مع والدها في غرفته، حيث والدها شوكت مصدوم من عدم عودة أمها معها. واقفاً في حالةٍ من الغضب الذي ظهر على ملامح وجهه، فعلى صوته قائلاً:

يعني قالتلك ايه؟

دانا: قالت إنها محتاجه تقعد وقت أكتر مع نفسها.

شوكت: وإيه كمان؟

دانا: بس

شوكت: يعني هي في العادي بتاعها كنتوا بتتكلموا في ايه؟

دانا: ماكنتش بشوفها أصلاً كانت مش بترضى تخرج معانا.

شوكت ينخفض صوته، يقترب من ابنته، يضع يديه على كتفيها، ويجلسان سوياً فيقول:

طيب تفتكري هي مالها؟

دانا: دلع بس زيادة عن اللزوم.

شوكت: عيب تتكلمي عن أمك كدى.

دانا: يا بابا بهزر معاك، وبعدين إنت قاعد شاغل نفسك ليه؟!! روح هاتها وتعال.

تعلق بذهنه هذه الفكرة.

(٤٧)

في الصباح كوثر في بلكونة غرفتها بالفندق، ترتدي قميص نوم سماوي اللون تحمل في يديها كوب من النسكافيه، أمامه على الطاولة الصحن المخصص لإطفاء السجائر وبه سجارتها المشعلة.

تتأمل السماء وتفكر بعمق حيث يشغلها أمر هام وهو طلب الطلاق من شوكت والزواج من رأفت الرجل الذي يصغر عنها عشر أعوام، ولكنها وجدت معه الحب والإهتمام ولا تريد أن تُغضب الله في إقامة علاقه محرمه معه.

الصراع بداخلها ما زال قائماً وإزداد أكثر بعدما وجدت هذا الرجل..

صراع ما بين إختيارها للحب الذي باتت تبحث عنه عمرها بالكامل بصرف النظر عن أي فوارق في العمر أو العادات وبدون النظر لتقاليد المجتمعات الشرقية وكلام الناس وبين صوت العقل في البقاء مع زوجها الذي عاشت معه ما يقرب من عمرها كاملاً ونفسية أولادها إن أتخذت قرار الطلاق.

تستغرق في التفكير حتى تنطفئ سيجارتها ويبرد النسكافيه بداخل الكوب، فالتفكير بعمق قد سيطر عليها. في ذات اللحظة إذا بجرس الغرفة يدق، ولكن كوثر مستغرقة في تفكيرها لا تسمعه، فيدق ويدق إلى أن تنتبه.

تضع الكوب على الطاولة، ترتدي روبها الحريري وهي متجهةً للباب ثم تفتح.

فإذا بشوكت زوجها أمامها.

لقد ترك أعماله كلها ومسئولياته العملية وجاء ليأخذ زوجته مثلما أوحت له بالفكرة إبنته دانا.

كان اللقاء بينهما هو أصعب موقف مر عليهما في حياتهما. حيث تجرد شوكت من تفكيره العملي وضعفه العاطفي وتملكت منه كرامته كرجل شرقي لا يعرف عن زوجته وأم أولاده شيء طوال فترة سفرها. وتجردت كوثر من مشاعر الزوجة والأم، ولم تعطِ لعقلها فرصة للتدخل في حين أنها أذنت لقلبها أن يكون هو المتحكم في هذه اللحظة والذي مازال يحرضها ويلح عليها ويذكرها بأنها إمرأة تتحلى بكامل الأنوثة، ولها مشاعر وأحاسيس وعاطفة سجنتها مع هذا الرجل الذي لم يشعر يوماً بها، اعتقاداً منه بأن الورود للزينة فقط، متجاهلاً أن الورود لن تُزهر إلا إذا احتضنتها أشعة الشمس، ولن تتفتح إلا إذا تنفست الطبيعة، ولن تعطر الجو برائحتها العذبة إلا اذا سمعت انغام الموسيقى والأشجار من حولها، ولن تتمتع بجمالها الرباني إلا اذا ارتوت من نهر عذب.

رغم صعوبة هذه اللحظات إلا أن كوثر لا يرتجف صوتها ولا تواري عينيها ولا تحني رأسها، بل تعمدت ان تقف ثابتة وقد احكمت النظر في عيني شوكت قائلة: طلقني.

لم يستوعب شوكت ما سمعته أذناه.

حاول أن ينكر ما سمع، فجلس على السرير وأسند يديه اليسرة عليه، فتح زرار قميصه ونزع رباط عنقه بشدة قائلاً بصوت حنون:

إيه اللي انتي بتقوليه ده ؟!! أوعي أسمع الكلمه دي منك تاني.

هي تقف أمامه، لم يؤثر صوته الحنون عليها.

حاول أن يضمها إلى صدره، فلم يجد إلا صنماً.

وقد ازدادت نظرة عينيها حدةً وعناداً وتحدياً مع ألم وعتاب مرددة "طلقني".

حينها أستوعب شوكت جدية كوثر، وبإحساس تلقائي وقف ورفع يده ليصفعها بالكف على وجهها، ولكنه سرعان ما أوقف يده وأحس أن الأرض من تحت قدميه تتحول إلى رمال متحركة تفقده إتزانه، حاول التماسك قائلاً بنبرة اختلطت بها الحدة مع الندم:

إتفضلي هننزل مصر حالاً وهطلقك هناك.

(٤٨)

والد حكمة وأحمد يرتدي جلباب أبيض، يضع الطعام على الطاولة بعدما انتهى من تحضيره ويدعوهما إليه.

حكمة تستجيب بينما أحمد يرغب في الخروج ويطلب نقود من والده.

يعبر الأب عن غضبه من تكرار طلب أحمد للنقود منذ عودته من لبنان وعدم رضائه عن تكاسله في البحث عن وظيفة منذ تخرجه من الجامعة من عامين إلى الآن وبالتالي كيف سيتزوج ويقوم بتكوين أسرة.

أحمد: أتجوز إيه هو أنا لاقي آكل!!! واشتغل إيه هي البلد فيها شغل!!!

حكمة: إنت ماسعتش في شغل عشان تلاقيه.

وموضوع الفن ده موهبه إنت تخليها حاجة جانبيه جنب الشغل الأساسي اللي بيه هتصرف على سعيك في الفن بدل ما تثقل على

بباك ولحد ما ربنا يكرمك ويبقى يجيلك من الفن فلوس ساعتها أبقى إعتمد عليه.

أحمد يستهزأ بكلام حكمة: بقولك إيه يا ست المدينة الفاضلة إنتي، والنبي كل واحد يشوف نفسه الأول، ما انتي قاعده من غير جواز أهوه.

ويرفع إحدى يديه مشيراً بيديه الأخرى على عضلاته قائلاً:

على الأقل أنا راجل إتجوز في أي وقت.

ويأخذ أحمد النقود ويخرج.

حكمة تتذكر سعيد فتتوقف عن تناول الطعام، ولكن حبها لأبيها يمنعها من أن تقوم من على المائدة حتى لا يشعر بحزنها فيحزن.

الأب: إنتي عارفه الواد الفاشل ده لو أنا حصلي حاجة مش هيلاقي ياكل، وأنا كل الفلوس اللي عملتها في الغربه صرفتها على تعليمكم وعلى إني اخدلكم الشقة دي بدل ما كنا نعيش بالإيجار، على الاقل قدرت أحسسكم بالأمان.

حكمة تتأثر بكلام والدها وتقول في نفسها: إنت الأمان يا بابا.

وينتابها إحساس بالخوف من المجهول بأن تفقد أباها يوماً وتفقد معه الأمان. ولكنها ما زالت تكتم شعورها بالخوف والحزن حتى لا يصل هذا الإحساس لوالدها فيزداد عليه الحمل.

(٤٩)

يدق جرس الباب.

والد حكمة يفتح الباب ويرحب بدانا ويدعوها للدخول على حكمة في غرفتها وأثناء ذلك يطلب منها أن تتوسط لأحمد عند أمها أو أبيها لكي يساندونه في مجال التمثيل.

حكمة تسمع صوت دانا بالخارج مع والدها فتنادي عليها.

تدخل دانا وتغلق باب الغرفة وتنهمر في البكاء.

تندهش حكمة وتحاول تهدئتها ويبدأ الحوار.

دانا: حكمة ماما عاوزة تتطلق من بابا.

حكمة في إندهاش: إيه !! ليه؟

دانا: ماما عرفت راجل على بابا وأنا شفت ده بعيني في لبنان ومقدرتش أتكلم ومصدقتش عينيا وأنا حاسه أن ده السبب. وده لو حصل هتبقى فضيحه لينا كلنا أدام العيلة والناس.

(٥٠)

حكمة نائمة في غرفتها ليلاً.

تقلق من نومها وتفكر بمشكلة عائلة دانا ويخيفها عدم استقرارهم والظروف الطارئة عليهم، ولكنها في صدمة من موقف السيدة كوثر، فتتحدث مع نفسها قائلةً:

مستحيل طنط كوثر تكون كدا!!! دي إنسانة محترمة، مستحيل! مستحيل! وكمان مستحيل يكون موضوع الطلاق ده بجد، أكيد وقت زعل بس وخلاص.

أثناء حديثها مع نفسها تسمع صوت شخص وكأنه يتسلل في الصالة، تتوقع أنها جدتها ذاهبة إلى المطبخ أو الحمام، فتفتح الباب لتساعدها وإذا بمفاجأة جعلت من حكمة تتسمر مكانها.

إنه والد حكمة يساعد سيدة على الخروج من غرفته إلى خارج الشقة بهدوء.

تُصدم حكمة صدمة كبيرة! لا تستوعب ماذا يحدث! يحيط بها الصمت! ثم تعود لسريرها منكمشة وتعلو نبضات قلبها معبرة عن حالة من الخوف والذهول والرفض وكأنها تحلم، فتحتضن نفسها وتنام.

(٥١)

في الصباح تشعر حكمة أنها تريد التحدث مع سعيد حبيبها السابق الوحيد، الذي لم تعطِ لقلبها فرصة لرؤية غيره، وحتى بعدما تزوج من غيرها وأصبح لديه أطفال.

ترددت كثيرًا في الاتصال وهي تمسك بهاتفها المحمول وتنظر إليه.

ظلت في حالة من التردد لدقائق إلى أن ضغطت على الأرقام.

وقد كانت صدمة لها أنه يجهل رقمها، فقد قام بحذفه من هاتفه المحمول، ولكن شعورها بالاحتياج له جعلها تُذَكّرَهُ بنفسها وبصوتها، فدار الحوار التالي:

سعيد متفاجئ: حكمة! آآآآآه حكمة! أهلاً وسهلاً.

حكمة: سعيد أنا محتاجة أتكلم معاك أوي.

سعيد لا يعطي لها فرصة للكلام: آه! طيب وليه متكلمتيش مع أعز ناس عندك كوثر هانم وبنتها حبايبك. على فكرة عايز بس أوضحلك إن أنتو الاثنين أقذر من بعض. إنتي بعتيني عشان مصلحتك معاهم، ما هما بقا واصلين، وممكن تحتاجي منهم حاجة، والله أعلم مصلحتك كانت إيه من القرب منهم بالظبط. ودانا هانم باعتني عشان كانت بتجبرني على إني أتجوزها وأنا قلتلها لأ، وكانت بتمثل قدامك إنها صاحبتك حبيبتك.

حكمة في صدمة: إنت بتقول إيه؟ إنت كداب.. كداب.. كداب.

سعيد: أنا راجل دلوقتي متجوز متتصليش بيا تاني ويغلق موبايله في وجهها.

(٥٢)

حكمة في سيارتها تحاول استيعاب صدمتها في السيدة كوثر وصديقة العمر دانا وحبيب عمرها سعيد.

هل ما حدث حلم أم واقع وأثناء ذلك إذا بتليفون من أبيها يخبرها بأن أحمد أخاها في السجن لقد تم القبض عليه في قضية دعارة.

حكمة تقوم بفرملة السيارة على غفلة فور سماعها لهذا الخبر وتصاب بانهيار وتصرخ بصوتٍ عالٍ في الشارع.

يتجمع حولها الناس منهم مَنْ ينظر إليها بعين الرأفة، ومنهم مَنْ يلقي عليها عبارات استهزاء (إيه المجنونة دي !!).

ويعد مرور عدة أيام

(٥٣)

حكمة عند الدكتور آدم في العيادة في جلسة استغرقت خمس ساعات قامت بعرض ما تفاجأت به من صدمات أخيرة وأبرزها:

١- زواج والدها عرفي من جارتهم (أم أحمد) دون علمهم طيلة هذه السنوات.

٢- كوثر بالفعل ما زالت على ذمة شوكت ولكنها تقيم علاقة محرمة مع رأفت دون علم أحد منذ بداية سفرها للبنان.

٣- أحمد أخوها قواد في ملهى ليلي منذ ثلاث سنوات اعتقاداً منه بأن هذا سوف يعطيه الفرصة لإبراز موهبته في الغناء.

٤- سعيد تخلى عنها حتى كإنسانة أو صديقة وظن بها ظن السوء.

٥- أغلى الصديقات "دانا" تكذب عليها طوال سنوات من العشرة.

وبعد أن عرضت حكمة شريط حياتها وأشهر صدماتها الأخيرة على الدكتور آدم اختفت عن أهلها وشغلها ومعارفها والكل لا يعرف عنها شيئًا.

الفصل الثاني

في هذا الجزء من الرواية يتجه بعض الأبطال إلى بداية النهاية دون أن يشعرون. كما يتجه البعض الآخر نحو بداية البداية ولا يشعرون بذلك أيضاً.

أولاً: عائلة حكمة.

١- (الأب): والد حكمة إنسان تجمعه بالله علاقة قوية جدا، هذه العلاقة هي التي كانت كغلاف له، حيث أحالت بينه وبين إصابته بمرض الاكتئاب الذي غالبا ما يأتي للإنسان بعد الصدمات وقد يؤدي للإصابة بأمراض عضوية.

وطوال فترة غياب حكمة والأب يدعو ربه ليلا ونهارا بالحفاظ على ابنته، وفك سجن ابنه. فلا يكل ولا يمل من الدعاء لله. وخصوصا بانه قد علم من د/ آدم مكان ابنته. فظل ينتظر بكل يوم عودتها.

وتمنى لو كانت حكمة معه الآن ليصارحها بان السيدة التي رأتها معه، هي أم أحمد جارتهم وإنها تحملت أن تكون زوجة له في الخفاء لإسعاد أسرتهم الصغيرة. وانه اخفى عنهم هذا الزواج حتى لا يجرح شعورهم.

٢- (أحمد): تم الحكم عليه بالسجن لمدة عام. ومع كل يوم كان يمر عليه، تمنى لو تعود به الأيام فيستغل حريته التي انعم عليه بها الله، والتي أعطاها له والده بشكل آخر غير

الذي استغلها فيه. ولم يمر يوم إلا وأحمد قد فاضت عيناه بدموع الندم وألم الفراق.

السجن جعل أحمد يتقرب تدريجيا من الله، وينظر للحياة بشكل آخر مختلف تماما عما كان ينظر إليه من قبل، وشعر بقيمة أشياء كثيرة كانت معه ولكنه لم يكن مقدر لقيمتها "كالعائلة والحرية والأصدقاء والصحة".

ثانيا/ عائلة دانا:

١- (كوثر): تمر الأيام وتصمم على الطلاق، ولا تعبأ بنظرات اللوم التي تراها في عيون الآخرين. وكانت تطمئن نفسها دائما بأن أبنائها كبار، وإنها بالفعل قد قامت بتوصيلهم لبر الأمان. وتدعو الله أن يحفظهم ويرعاهم.

وبالفعل نالت كوثر الطلاق وتزوجت من رجل الأعمال اللبناني، وتخلت عن كل مسؤولياتها من شركات وأمور عائليه وتركتهم في رعاية دانا ابنتها. وذهبت لتعيش في لبنان كربة منزل مع زوجها اللبناني.

حاول شوكت بكل الطرق إرجاعها عن قرارها ولكنه لم يتمكن فاستسلم لقرارها.

٢- (شوكت): صدمته في كوثر إصابته بحزن شديد، هذا الحزن مع مرور الأيام أصابه بعجز عن الحركة كعرض من أعراض اضطرابات ما بعد الصدمة.
أحاطوا به أخواته البنات، وحاولوا إقناعه بالزواج مرة أخرى، ولكنه رفض المبدأ تماما.

٣- (دانا): حزنت كثيرا على غياب صديقتها حكمة، وظلت تبحث عنها في كل موقف كانت تواجهه ولا تستطيع أن تبوح به إلا لحكمة. كما إنها انكسرت بداخلها للسر الذي تحتفظ به عن العلاقة المحرمة التي بين والدتها ورجل الأعمال اللبناني. هذا السر جعلها لا شعوريا تصبح أكثر قرب من والدها، تخاف عليه بشكل ملحوظ وتكثر الاتصال به وتحاول الالتصاق به كالطفل الصغير. أثارت هذه الأمور اندهاش والدها !!

بعدت دانا عن أمها لا شعوريا في الحوار والملامسة والعاطفة. إلى أن جاء الوقت وتزوجت أمها، فطلبت دانا من زوجها السماح لها بالبقاء في مصر مع والدها واخوها لرعايتهم ورعاية المسؤولية التي أسندت إليها بدون سابق توقع أو تمهيد، فوافق الزوج.

٤- (فارس): بعد زواج امه أصيب بصدمه كانت من أبرز اهم أتباعها انعزاله اجتماعيا، وبعد فتره وبمساعدة أخته دانا له، عاد لأصدقائه ولكنه رفض أي نوع من التعامل مع امه نهائيا حتى وان كان هذا التعامل بالرد على تليفونها. وعلى العكس بدأ يتقرب من والده جدا.

ثالثا/ الدكتور آدم.

أراد أن تعيش حكمة في أمان، فقام بالتواصل مع د/ ميلر لمشاورته في حالة حكمة. أعرب ميلر عن ضرورة أن تغير حكمة بيئتها تماما، وانه ليس لديه مانع من استقبالها للعمل بمؤسسته البحثية على الفور.

جهز آدم إجراءات السفر والسكن وتكفل بهما، واقنع حكمة بضرورة السفر.

في البداية رفضت حكمة وصممت على الرفض وخاصة أنها لا تمتلك تكاليف السفر والإقامة ببلد أخرى. ولكن آدم استمر في إقناعها.

حالة الضعف التي كانت فيها حكمة آنذاك الوقت كانت من أهم أسباب قبولها لهذا الأمر.

(١)

سافرت حكمة للندن وهي تبكي، وبكت لبكائها السماء، فاهتز المطر، وشعرت الأرض بأنها تحمل براءة حكمة أمانة من الله تريد الحفاظ عليها أينما كان مكانها على هذه الأرض. وألبستها بركة دعاء والدها لها، فزادت في وجهها القبول والتعاطف معها لكل من يراها حتى وان كان من أصحاب القلوب القاسية.

ووصلت حكمة لندن بعد أن تخلت عن كل مسئولياتها، وتركت اهم أشخاص في حياتها بعد صدمتها بهم. جاءت حكمة لبلد غريبة وهي تحمل على أعصابها صدمات حياتها منذ الطفولة إلى الآن. جاءت

ولم تدرِ هل هذا هروب أم حل لتصحيح حياتها الروتينية الضيقة التي انحصرت في عدد قليل من البشر والاهتمامات أم مجهول من صدمات أخرى أم بداية للبداية الحقيقية بحياتها.

لم تكن الصعوبة لدى حكمة في الغربة ومسئولياتها، لأنها اعتادت منذ صغرها على تحمل مسئولية نفسها، ولكن الصعوبة كانت لديها في الصدمات التي ظلت عالقة في ذهنها، وتحلم بمشاهدها أثناء النوم، وربما هذه الأمور لشخص آخر لا تمثل صدمات تستحق الرحيل، ولكن بالنسبة لحكمة فهذه الأمور أفقدتها اتزانها، وضغطت على كتمانها فزادتها صمت، وكأنها أعطت أوامر لجسدها بالتحرر من عالم ضيق لا معنى له، عالم يخلو من العاطفة، عالم يعطش فيه الجسد لماء الاطمئنان الذي يروي خلايا الإنسان ويساعدها على النمو السوي، عالم يخلو من الحضن والجنس وسماع كلمات الحب والغزل التي تبني عضلاتها كأنثى تحتاج للبناء السوي، عالم تاهت فيه حكمة فلم تعرف لوجودها معنى سوى مراعاة أحبابها اللذين ينحصرون في أب وجدة وأخ وصديقة. لذا كانت حكمة بصدماتها بمثابة الدمعة التي ظلت محبوسة في العين حفاظا على شعور الآخرين لسنوات عديدة، وظلت تتحمل وتتحمل إلى أن جاء اليوم الذي قررت فيه الهروب من الحبس، فهربت الدمعة ولاحقتها باقي الدموع لأتفه الأسباب.

(٢)

في أول يوم من وصول حكمة لمكان إقامتها بلندن، تغيرت طريقة مشيتها بشكل لا شعوري، فأصبحت تسير مكسورة ضعيفة، رأسها ونظرات عينيها متجهة قليل للأرض، فلا تنظر للسماء والبشر اللذين طالما اعتادت التأمل فيهم منذ طفولتها.

باتت تخاف من الأشياء التي كانت بالنسبة لها مصدر للأمان، فتحول التلفاز من وسيلة للترفيه إلى وسيلة للإزعاج. وتحول السرير الذي كان ملجأ للانفراد بنفسها للتأمل باللحظات التي مرت على يومها، إلى مكان للخوف والوحدة. وتحولت الوسادة التي كانت تحتضنها كحبيب إلى شيء يصيبها بالاختناق. وبالتالي أغلقت التلفاز، وقامت برمي الوسادة على الأرض، وفتحت جميع أنوار الشقة، والتفت بداخل البطانية ونامت في وضع الجنين. ولكنها سرعان ما قامت من النوم تتألم على الفراق. وبعد طيلة لحظة الألم، شعرت بأن صدماتها اقوى من الألم. فنامت هرباً من أي تفكير.

(٣)

في الصباح اتجهت حكمة للقاء الأول بينها وبين د/ ميلر. وفي الطريق ظلت تنظر للشوارع والبشر وينتابها شعورين متناقضين،

الأول إنها تستنشق بداية للحياة، والثاني أنها في نهاية حياتها وخاصة وانه لم يعد هناك طعم للأشياء الجديدة في الحياة، فبعدما كانت تعشق السفر وتشعر بانه متعة من الله وفرصة للاستكشاف والاطلاع على الجديد من الكون والبشر. أصبحت الآن ترى سفرها هذا على انه مجهول غامض، ولا تستطيع الاستمتاع به.

(٤)

د/ ميلر في مكتبه ومعه صديقه مصري الجنسية رجل أعمال شاب اسمه " يوسف ".

أثناء جلستهما تصل حكمة، فيستقبلها ميلر بالترحاب، ويوجه كلامه ليوسف قائلاً:

حكمة وصلت بالأمس من مصر، وهي أحد الأعضاء الجدد للعمل بفريقي البحثي هنا بالمؤسسة.

يرحب يوسف بحكمة.

حكمة في صمت لثواني وكأنها تريد أن تقول شيء ومترددة في البوح به ببساطة، فتحاول التحدث ومن ثم تقول:

دكتور ميلر شكرا على استقبالك لي ولكني بصراحة مش عندي أي طاقة للعطاء أو العمل.

تُمسِك بشنتطها من على أرجلها وتضعها على الأرض.

أثناء جلستها تلتفت بجسدها ناحية ميلر، وتنظر في عينيه وكأنها تستعطفه قائلة:

أنا جيت هنا مضطرة وحتى في مصر كل ما تنتهي إجازتي بجددها تاني. لكن عشان اعرف أعيش واصرف على حياتي هنا فمضطرة اشتغل. فبستأذنك تسند لي وظيفة تقليدية بعيدة عن التعامل مع الناس. يعني إذا أمكن وظيفة على كمبيوتر مثلا.

ميلر يستوعب كلام حكمة بهز رأسه قائلاً:

مفهوم مفهوم. تستطيعين أيضاً الاكتفاء بوقت من الراحة والاستجمام هنا في بلدك الثاني. ولنا لقاء آخر قريبا.

يوسف تلفت نظره حكمة، وينجذب قلبه لكلامها، ويلهمه الله شعور جميل نحوها ورغبة في التقرب منها. ورغم انه بحياته الكثير من النساء ورأت عيناه أجمل الجميلات، ولكن جمال حكمة الداخلي الذي انعم الله به عليها، جعل منها إنسانة مميزة له من أول وهلة.

فعيناها السود كانت له ليل بسكونه وهدوئه واحتوائه لفضفضة أصحاب الهموم تارة، وغموضه والخوف منه تارة أخرى. وشعرها الأسود الناعم الثقيل الذي يصل طوله لنصف ظهرها كان بمثابة أمواج بحر تناديه للغوص في أسراره. ونعومة بشرتها الصافية كبشرة الأطفال والخالية من أي مستحضرات تجميلية كانت له كحضن الأم الذي يشع حنان لكل من حوله.

ومنذ تلك اللحظة انشغل تفكير وقلب يوسف بحكمة، واخذ يسأل عنها د/ ميلر كثيرا، وألهمه الله في قلبه أن ينشغل بها عن باقي الفتيات والنساء في حياته.

أحياناً كانت صورتها تأتي على خياله في عمله، وقد كان هذا شيء صعب بالنسبة له، فقد اعتاد أن يفصل بين الساعات التي يقضيها للعمل وبين حياته الخاصة الأخرى. ولكنه لم يستطع السيطرة على نفسه، ولم يكن قادراً على تفسير هذا الشعور أو تجاهله.

إلى أن جاء الوقت وأقام حوار بينه وبين نفسه قائلاً:

مالك يا يوسف!! إيه !! فيك إيه !! ده أنت كل يوم بتكون معاك وحدة أجمل من التانية !! ده أنت بعدت نفسك عن الجواز مخصوص عشان متحسش بضعف الحب!! مالك من يوم ما شفتها

وأنت مشغول بيها !! ده إيه الشعور الغريب ده !! حب يعني من أول نظرة ولا إيه ؟! لا هو أنت تلميذ !! ده الحب لازم يكون من الطرفين ولازم له مواقف وأيام ولازم الأحاسيس تكون متبادلة !! إيه ما تفوق أنت عديت مرحلة المراهقة من زمان.

(٥)

حكمة ما زالت في مرحلة اضطرابات ما بعد الصدمة، فاقدة للقدرة على العطاء حتى وإن كان هذا العطاء بالمجاملة أو بالكلمة الحلوة للآخرين. وفاقدة للرغبة في التأمل والاستكشاف في العالم الجديد الذي ذهبت إليه هرباً. فأغلب وقتها بالمنزل. وكثيراً ما ينتابها شعور الخوف من إختفائها عن عائلتها بمصر، ولكنها سرعان ما تتغلب عليه بالنوم هرباً من التفكير.

تظل حكمة هكذا إلى أن تستقبل اتصالاً هاتفيا من ميلر يدعوها للحضور مرة أخرى لمكتبه.

(٦)

ميلر في مكتبه وفي يديه ملف تفاصيل حالة حكمة الذي أرسله له آدم.

يستقبل حكمة ويدور بينهم الحوار التالي:

حكمة أنت مفتقده للأمان، ولقد مررتِ بمواقف أكبر من عمرك منذ بداية حياتك إلى الآن، ولكن فائدتها كانت تكمن في أن الله أراد الحفاظ لك في قلبك على إنسانيتك التي يفتقدها الكثير من الناس أو على الأقل يفتقدون لجزء كبير منها بمجرد مرورهم بالمواقف الصعبة في الحياة.

جميعنا يولد على فطرة نقيةٌ طاهرةٌ تميل للخير والإيجابيات ولكن مواقف الحياة التي لا ترضي رغباتنا، تأثيرها على البشر يختلف من إنسان لإنسان فبعض الناس تتلوث لديهم هذه الفطرة. والبعض الآخر تحاول الظروف الصعبة السيطرة على فطرتهم فتنجح مرات وتفشل مرات أخرى. وهؤلاء يظلون دائما في ازدواجية داخلية بشخصيتهم فيصبحون في حيرة ما بين الفطرة النقية وما بين تحولهم لأشرار لمقاومة الحياة والظروف الصعبة. ولكن مع القليل جداً من الناس لا تتمكن المواقف الصعبة من النيل من فطرتهم والسيطرة عليها ولو لقليل من الوقت، ولذا هؤلاء الناس يشعرون دائماً أنهم غير قادرين على التوافق مع الآخرين وأن الآخرين لا يتفهمونهم أبداً وبرغم عدم التوافق يحافظون دائماً على العطاء في شخصيتهم. لذا

هم دائما يشعرون أنهم يفتقدون شيئا ما ولكن لا يعرفون ما هذا الشيء. وأنتِ يا حكمة من هذا النوع من البشر.

حكمة بعد إنصاتها للدكتور: بس معنى كلام حضرتك إن اللي أنا فيه صح؟ طيب هو صح إني أفضل بشعوري ده كتير؟ ما أنا مش مرتاحه من جوايا؟

ميلر: ما أنت به ليس بالصحيح المكتمل ولكنه كان نعمة من الله أن يهبك هذه الشخصية أثناء عمرك السابق. فأنتِ فقدتي السند بأشكاله المختلفة بمراحل حياتك السابقة. بداية من السند العاطفي الأساسي الأول وهو الأم، مروراً بالحبيب، ومن ثم الأصدقاء الذين يتفهمونك ومن ثم الأب والأخ. ولكنك حمدتِ الله على الإيجابيات في حياتك من وجود الأب أو الأصدقاء أو الأخ لفتره حتى وإن كان وجودهم ليس بالشكل الذي ينبغي أن يكون ونظرتي إلى الجزء الإيجابي رغم قلته، وتعاملتِ من خلاله مع الآخرين وهذه هي بداية الصحة النفسية. بصرف النظر عما فوجئت به مؤخراً من صدمات كانت عكس توقعاتك في هؤلاء البشر.

حكمة: صحة نفسية إزاي يا دكتور؟!! معنى كلامك إن أنا شخصية مريحة للناس ولكن أنا فين راحتي؟

ميلر: أنا لا أقصد أنكِ شخصية كاملة ولذا طلبت أن أجلس معك هذه الجلسة، لأجعلكِ ترين نقاط الضعف والخطأ بشخصيتك.

فنقطة الخطأ الأولى (الكتمان) ليس معنى عطاءك للآخرين وحبك لهم أن تكتمي عنهم شعورك بالأذى أو الخوف.

حكمة: حضرتك بتقصد إيه؟

ميلر: في البداية أنتِ كتمتِ عن والدك مشاعرك بالخوف الذي ينتابك من ضعفه الذي أصبح فيه، مع إنك لو قمتي بالتعبير له عن هذا ربما تلفتِ نظرة إلى ذلك فلا يكرر جملته التي كانت مثيرة للخوف لك مرة أخرى. وبالتالي كنتي سترحمين نفسك من إستقبال طاقة سلبية. ولربما كان تعبيرك بمثابة طاقة منك له لاسترداد قوته بأشياء أخرى؟

حكمة: إزاى يا دكتور؟

ميلر: القوة ليست في الشباب فقط. فلو كانت القوة جسدية فقط لما كان ذوي الاحتياجات الخاصة إستطاعوا الوصول للكثير مما يعجز الوصول إليه الأصحاء.

والتقبل لحقيقة التقدم بالعمر وحقيقة الموت ضرورة لإحساسنا بالأمان على عكس ما يتوقع البشر. والدليل على ذلك أنكِ لم تتوقعي يوماً موت أخوك على سبيل المثال قبل موت أبوك. مع إن الأعمار بيد الله. ألم تشاهدين يوماً ما فيمن حولك ابن توفى قبل أبيه؟

إن لم تشاهدي، فأنت مررت بذلك بالفعل. فأمك توفت قبل جدتك التي وصلت من العمر أرزله ومازالت على قيد الحياة.

فلمَ الخوف من أشياء ليست بأيدينا؟

تتأمل حكمة في كلام الدكتور بصمت.

يستكمل ميلر كلامه:

كان كتمانك أيضاً مع صديقتك إعتقاداً منك أنها لا تتفهم شعورك، ولكنك لم تتخيلي للحظة إنك لم تعبري لها بالشكل الكافي عن شعورك، إعتقاداً منكِ أنها لها اهتمامات أخرى تافهة من وجهة نظرك، مع أن هذه الشخصية متزوجة وصاحبة عمل. إذن فهي قادرة على تحمل المسؤولية عندما يتم إسنادها إليها.

حكمة: دكتور حضرتك بتكلمني في حاجات صغيرة جداً بالنسبة لصدماتي الحقيقية فيهم. أنا صدماتي اللي خلتني أهرب من مصر

كانت أكبر بكتير من المشاكل الصغيرة دي. الحاجات البسيطة دي أنا كنت متحملاها.

ميلر: ومن أخبرك بأن هذه الأشياء البسيطة ليست هي السبب الرئيسي في الصدمات الكبيرة من وجهة نظرك؟

حكمة تتعجب: إزاي يا دكتور؟!

ميلر: يصاب الإنسان بالصدمة عندما يتعرض لشيء غير متوقع. والعكس فكل شيء يمر على عقولنا ولو للحظات عندما يحدث لا يصيبنا بصدمه.

في تحليلي إنك تعاملتِ مع من حولك على أنهم ملائكة وليسوا بشراً قابلين للصواب والخطأ. وأنهم سحرة ومنجمون يستطيعون قراءة ما بداخلك بدون تعبيرك عنه. كما تعاملت مع الدنيا على أنها جنة، وليست دنيا بها خليط من لحظات ترضينا ولحظات ليست على هوانا.

كتمانك هو السبب الذي جعلك تفقدين لغة الحوار معهم.

من اجزم بان كوثر أقامت علاقة محرمة مع الرجل اللبناني؟

حكمة: دانا بنتها شافتهم.

ميلر: إذن ليس أنت التي رأيت ذلك بعينيك. وأنت لم تسألي دانا ماذا رأت. وإذا كانت كوثر تهمك بالفعل قلما لم تتجهي إليها وتسألينها بشكل مباشر عن حقيقة الأمر؟

حكمة إن درجات الحلال والحرام تختلف من شخص لآخر. فلم تقل لك دانا بصريح العبارة أنها رأت أمها في حالة زنا صريح. ولم تعط أنت لنفسك الفرصة للرحمة بأن تسالي مباشرة كوثر عن حقيقة الأمر.

ولكنك كنت قاسية على نفسك وعلى السيدة.

وهكذا الحال مع والدك. فالكتمان منعك من سؤاله بصراحة عن مكانة السيدة التي رأيتيها معه. فلو كانت زوجة له فهل هذا محرم؟

حكمة: لا بس ليس يخبي علينا؟

ميلر: لماذا توجهين لي هذا السؤال؟ اعتقد إنك أن أعطيت لنفسك فرصة لتوجيه هذا السؤال له، الأمر سيختلف كثيرا.

وهكذا الحال تجاه صديقتك دانا. فهل أنت سمعت بإذنيك أو رأيت بعينيك خيانتها مع سعيد؟

حكمة: لا، بس

ميلر يقطع جملتها: لماذا بس؟ لماذا لا تكتفي بالحقيقة وهي (لا)؟ لماذا مزيد من المبررات لأخطائنا؟

لماذا لم تسألي صديقتك؟ لأنك كنت قاسية على نفسك.

إذن أن أنت لم ترحمي نفسك، فلا تلومي الآخرين على عدم رحمتها.

حكمة تمتلئ عينيها بالدموع تأثرا بكلام ميلر، وتشعر بالراحة والرغبة للمزيد من كلامة.

إلى أن يأتي يوسف ويدعوها على الغذاء.

(٧)

حكمة ويوسف بإحدى المطاعم بلندن. حيث حكمة تجلس مع يوسف بجسدها فقط، ولكن إحساسها وشعورها يفكر في كلام ميلر وتحليله للأمور. وحيث يوسف في قمة سعادته. ولم يتردد لحظة في التعبير

لها بصراحة عن شعوره بأنه منذ صادف رؤيتها وصورتها لم تفارق خياله، وانه يجذبه إليها شعور قوي ولا يستطع تفسيره.

حكمة كانت في حالة ضعف، فاستقبلت كلامه بالصمت، وقالت في ذاتها:

(أنا فاقدة للأمان فهل لك أن تعطيني الأمان؟ أم أن الأمان في شيء آخر؟ هل الأمان في الأم؟ الأم ماتت. طيب الأب؟ الأب فين؟ يمكن في الصديق؟ يعني إيه صداقة؟ ولا الحبيب؟ نضمن منين انه حبيب؟ ولا الأمان في الوطن؟ ما سبت الوطن خلاص).

دارت كل هذه الأسئلة بين حكمة وذاتها التي شردت بها عن يوسف في صمت لعالم أحاسيسها الداخلية، وبقت معه بجسدها فقط. وهذا لم يجعل يوسف ينفر منها ولكنه كان حكيما، فاحتوى الموقف، وحاول استيعاب صمتها والتقرب منها أكثر وأكثر. وشعر بان هذا لم ينقص من رجولته شيء، ولكنه امر طبيعي لحالتها. وخاصة أنها عبرت أمامه لدكتور ميلر أنها تفتقد القدرة على العطاء بهذه الفترة، وبالتالي لم يفسر يوسف صمتها على انه رفض أو نفور.

(٨)

مرت الأيام وعلاقة التعارف التي نشأت بين حكمة ويوسف تتطور يوم بعد يوم.

صبر يوسف على صمتها وعدم مبالاتها بمشاعره ولو حتى بابتسامة أو بكلمة مجاملة. صبر على عيوبها وتوهانها وقلة حيلتها. فقد كانت له كالطفل الذي يحتاج لتعلم الكلام والمشي والتعامل والتفكير. صبر يوسف صبر ألهمه الله له في قلبه على حكمة. إلى أن أصبح بمرور الوقت الصديق الوحيد لها في لندن، بالرغم من إنها لم تحكي له أي شيء عن حياتها حتى الآن. ولكنها تقضي معظم أوقاتها أما في منزلها أو معه. ولم تذهب لميلر منذ الجلسة الأخيرة.

(٩)

صرح يوسف لميلر عن شعوره تجاه حكمة.

شجع ميلر هذه العلاقة قائلاً: أن حالة حكمة تحتاج لرجل حكيم وناجح وذكي مثلك، والأهم أن يكون حبه لها حب حقيقي، ولكن عليك بأن تثبت لها حبك ولا تضغط عليها في التعبير عن مشاعرها، اجعلها تشعر بحبك وصدقك أولاً وستعبر من تلقاء نفسها فيما بعد.

وانا أراهن على أن قصة حب حكمة بحياتك ستكن من أنجح واهم الصدف في حياتك. وعندما تستقبل منك الحب والاحتواء والعطاء ستعود حالتها لأفضل مما كانت عليه، وستستقبل منها عطاء وحنان يبهرك.

(١٠)

حكمة في منزلها تفكر بوالدها وتتردد في الاتصال به فتبكي لان مشاعر حبها له تتصارع مع مشاعر الخوف من مواجهته.

تحاول الاتصال بصديقتها دانا ولكنها تتردد أيضاً.

تظل هكذا في صراع حتى يأتيها اتصال من يوسف. تنظر لاسمه على الموبايل فتعود لها بسمتها وتشعر بالارتياح.

قد أصبح اسم يوسف في حياتها بمثابة شعاع الشمس للإنسان بيوم قارس البرودة، ولكنها لا تعلم ما معنى هذا الشعاع بحياتها، ومن أين ولماذا جاء إليها؟ فهي فقط تنساق للدفء الذي يأتيها منه دون أن تقصد الشمس ذاتها.

(١١)

تمر الأيام ويوسف يزداد بداخله شعوره الجميل تجاه حكمة. ويدعوها للذهاب معه هو وأصدقائه في رحلتهم السنوية التي تستغرق عشرون يوم.

حكمة أصبحت تحب أن تراه، تحب أن تسمع صوته، تحب وجوده بحياتها. ولكنها لم تفكر بواقعية هذه الأحاسيس، فلقد كان شعورها بالتوهان وفقدان طعم الحياة الذي جاءت به من مصر أكبر من أن تفكر في علاقتها بيوسف، لقد كانت بمثابة البردان الذي يتبع شعاع الشمس ولكن شدة البرودة تفقده الشعور بطعم الأشياء، ولذا قبلت حكمة دعوة يوسف وذهبت معه دون تردد.

(١٢)

آدم شعر باشتياقه الشديد لحكمة، فقرر الذهاب للندن للاطمئنان عليها والتعبير لها عن شعوره تجاهها.

عبر ميلر لآدم عن أن حكمة في أفضل مرحلة بحياتها. وأنها بالفعل رزقها الله بالحب الذي سيكون سند عاطفي هام لها لتخطي جميع أزماتها ببساطه.

هذا الكلام كان بمثابة سهم تم توجيهه لقلب آدم. فلم يتمكن من السيطرة على نفسه، وارتفع صوته رافضا لما يحدث قائلاً: أنت بتقول إيه !! حكمة بتحب !! بتحب مين ؟!! أنا باعتها عندك وصارف عليها فلوس ومرتبلها أمورها عشان تحافظلي عليها وتخرجها من الصدمات اللي هي فيها، تقولي بتحب !! يعني إيه؟!!

ميلر بحالة اندهاش !! ولكنه سرعان ما يستوعب الأمر: هذا هو العلاج الأنسب لحالتها، وأنت تعلم جيدا أن الحب هام جدا لحالتها، فلماذا تتهمني بالخيانة يا آدم؟

آدم: عشان أنا بحبها. بحبها يا ميلر. وأنت صاحبي والمفروض تكون فاهم ده كويس.

ميلر: بتحبها ؟ بتحب حالة عندك يا دكتور؟

آدم: دكتور، دكتور. هو الدكتور ده مش إنسان؟ إنسان له مشاعر؟ غصب عني حبيتها، عارف انه خطأ مهني بس حبيتها، أنا إنسان مش ملاك. هو أنت مبتغلطش ؟

ميلر يستجمع قواه ويرد مباشرة: لا يا دكتور، هذا ليس حب. إذا انك أحببتها بشكل صحيح لكنت أحببت لها الخير في أي حال من الأحوال.

آدم: بقولك بحبها، تقولي راحت لغيري وتقولي اسيبها سعيدة؟

ميلر: لماذا كتمت حبك يا آدم؟ انت من تعلم الناس عدم الكتمان وتعرف أضراره جيداً؟

آدم: عشان كنت عارف انه غلط واني كان لازم افصل ما بيني كدكتور معالج ليها وما بيني كانسان بيحبها. بس اعمل إيه مقدرتش استحمل. غصب عني. فجيت النهاردة اعبر ليها عن شعوري.

ميلر: أتيت مؤخرا.

آدم تمتلئ عيناه بالدموع: حبيتها من أول يوم جاتني فيه العيادة.

ميلر: أنت بلحظة ضعف يا آدم وانا سأكون معك للنهاية ولم أتركك. ابكي، اصرخ، تعصب، اخرج ما بداخلك، لن أتركك.

ولكن عليك أن تتذكر جيدا إنك أن أحببت إنسان فهذا يعني إنك تحب أن تراه سعيدا أيا كان مكانه ومع من. ولا تكن أنانياً في حبك،

فهذا ليس بحب للإنسان الآخر ولكنه حب لذاتك، فأنت ترتاح لوجوده معك فتريده معك فقط، دون النظر لمشاعر الآخر، هل هو أيضاً يرتاح لتواجدك معه أم لا.

آدم: أنا كنت حاسس إنها كمان بتحبني.

ميلر: آدم لا تنسى كلامي، أنت بلحظة ضعف. حكمة أن كانت تفضلك عن غيرك فهذا لأنها تفضلك كدكتور وليس كرجل.

آدم يبكي: لا لا.

ميلر يقوم باحتضانه قائلاً: الحب رزق من الله كالمال والصحة والأبناء والعمل والوطن والأهل، وأنت تعرف هذا جيدا. لا تتألم يا صديقي ولا تفقد الأمل. فجميعنا لا نعرف ماذا تخبأ لنا الأقدار السماوية بالمستقبل.

(١٣)

كوثر بلبنان في حياتها الجديدة مع زوجها اللبناني، بعدما تخلت عن كل شيء بحياتها من اجل العاطفة والرومانسية. وأصبحت ربة منزل برغبتها، تقوم بأعمال الطبخ وترتيب المنزل بمفردها دون وجود

خادمات أو مساعدين، حيث أرادت الاستمتاع بالحب في هدوء، بعيدا عن كل مسؤوليات الحياة الأخرى.

ولكن بمرور الوقت اكتشفت أن اهتمام الزوج اللبناني لها يقل يوم بعد يوم. فلم يعد يتغزل بجمالها، وتحولت حياتها لحياة روتينية. بينما هو ما زال يباشر أعماله وشركاته وأموره بشكل طبيعي. وفي كل يوم عند عودته للمنزل يتناول وجبة العشاء وينام. وعندما تحاول أحياء الرومانسية معه من جديد، يستجيب مرة ولا يستجيب عشرات المرات.

(١٤)

دانا في الشركة، حيث تباشر أعمال والدتها.

تحولت دانا لشخصية أكثر صلابة وقوة.

وذات يوم وأثناء تواجدها بالشركة تلقت اتصال هاتفي من أمها. وبرغم أن دانا أصبحت لا تتقبل التحدث مع أمها ولكن أخلاقها التي نشأت عليها من احترام الوالدين مهما أخطأوا تجبرها على الرد.

دانا: الوه. أيوه يا ماما.

كوثر: إزيك يا دانا؟ عامله إيه؟ وفارس أخوكي مش بيرد عليا خالص ليه؟

دانا تشعر بأن شخصية أمها أصبحت لديها نوع من البرود وعدم تفهم اتباع ما قامت به. ولكنها لا تريد إحراجها فتقول:

معلهش يا ماما هو بس غصب عنه متضايق شويه، لما تيجي مصر إن شاء الله هتشوفيه. هو إنتي جاية امته؟

كوثر: مش عارفه لسه، لما رأفت ييجي نازل مصر هنزل معاه، أنا بحاول أقنعه إننا ننزل مصر عشان وحشتوني.

دانا تتعجب !! قائله: تقنعيه!! أما ييجي نازل !!! أوك يا ماما.

(١٥)

حكمة مع يوسف وأصدقاءه في يخت في البحر. حيث السماء الزرقاء والشمس المشرقة والمياه التي تروي احتياجاتهم النفسية للحياة.

وحيث بدأت عينان حكمة في الاتساع قليلاً برؤية أناس جدد ومختلفين، فكلٌ له هواياته التي يمارسها من رياضة وعزف ورقص

ولعب وتأمل. حتى جاء الوقت الذي اجتمعوا للعبة (الصراحة). وهي احدى ألعابهم المشهورة في رحلاتهم.

جلسوا جميعا على شكل دائرة، وقفت حكمة بعيدا مكانها تنظر إليهم منتظرة ماذا سيفعلون.

أشار الجميع إليها للانضمام، اقتربت من دائرتهم وجلست بينهم على الأرض.

بدأت اللعبة حيث يقوم كل فرد باختيار أحد الأفراد الآخرين وسؤاله سؤال حر، وعلى الفرد الموجه له السؤال أن يجاوب بصراحة أو يقول أَمتنع.

جاء دور يوسف في أن يسأل، فوقع اختياره على حكمة.

تفاجأت حكمة من اختياره وشعرت بالخوف من توجيه السؤال، فتراجعت للخلف قليلاً.

شعر بها يوسف، وبرغم من أنه تمنى أن يسألها العديد من الأسئلة ولكن أراد الحفاظ لها على استمتاعها واستمرارها باللعبة، فاستخدم سرعة بديهته وغير سؤاله دون أن يشعر أحد قائلاً:

مبسوطة من الرحلة؟

شعرت حكمة بالارتياح فتقدمت للدائرة قائلة: أيوه مبسوطة.

واستمرت اللعبة وتعمد يوسف أن يسأل أصدقاءه عن نقاط النقص بحياتهم، لكي تشعر حكمة بأنها ليست الوحيدة في الحياة التي ابتليت بمشاكل مهما كان نوعها، ولربما لو سمعت لمشاكل الآخرين لهانت عليها مشاكلها، ولربما عندما تسمع للأخرين وهم يتحدثون عن همومهم ويعبرون عن مشاكلهم واحتياجاتهم فيكن هذا بمثابة تشجيع لها للتعبير عما تكنه بداخلها.

وبالفعل بدأ الجميع في التعبير. وتفاجأت حكمة بأن هؤلاء اللذين يلعبون ويستمتعون ويضحكون، كل منهم له نقصه الخاص بحياته ولكنه لا يعبأ به وسط لحظات الاستجمام بين وجود الأصدقاء وجمال إبداع الخالق في الطبيعة.

فأحدهم توفى كل أفراد عائلته بحادث سيارة منذ كان طفل صغير. والأخرى رُزقت بطفل ذوي احتياجات خاصة بعد حرمانها من الإنجاب لمدة عشر أعوام من زواجها. وآخر اضطر مغادرة وطنه بعد حرب مفاجئة وحرم من كل أمواله وعمله ومنزله الفخم. واحداهم مصابه بمرض السرطان وترتدي باروكة لشعرها.

ظل الجميع يفضفض ويعبر عما بداخله حتى فاضت من أعينهم الدموع فاحتضنوا بعض، واقتربت حكمة بجسدها وشعورها لا تلقائيا من يوسف وارتمت بأحضانه دون تفكير ولا كلام. أحاط يوسف بذراعيه على جسدها وأطال ضمها إلى صدره منتظرا لكلمة واحدة منها ولكنها لم تتكلم، فنظر يوسف للسماء وشعر بأنه يضم العالم بين ذراعيه، وأن الإحساس اقوى من الكلام.

هذه اللعبة كانت لحكمة بمثابة جلسة نفسية خاصة، وأصدقاء يوسف أثاروا حالة من التعجب لديها، وذلك لتنوع جنسياتهم وأعمارهم وثقافاتهم ومشاكلهم.

يمر الوقت وتلاحظ حكمة أن الجميع يحترم يوسف ويثق به ويلجأ له وقت الفضفضة أو طلب النصيحة.

حكمة: يوسف إنت إزاي كدة؟ إزاي مصاحب ناس مختلفين كدة؟ بتجيب دماغ منين لاحتواء كل دول؟

يوسف بروح الفكاهة: آه الحسد بقى، قولي ما شاء الله دي نعمة من ربنا.

حكمة: ما شاء الله فعلا، بس نعمة إزاي يعني؟

يوسف: علشان الاختلاف هو أساس الحياة، وربنا خلقنا في الدنيا عشان نتعرف على بعض.

يسكت قليلاً ثم يستكمل:

مهم يكون عندك بدائل في حياتك في كل حاجة، مش توقفي حياتك على صديق واحد بس، عشان أما ينشغل أو تحصله ظروف، فحياتنا احنا متتأثرش، ويكون عندنا البديل.

وبعدين إنتي مستعجله ليه؟ اصبري كمان لما توصلي بيتي اللي هنا هتلاقيني حتى في الشغالات اللي عندي بحب التنوع. وكل ما شفتي ناس من ديانات وجنسيات وعادات مختلفة عنك كل ما أتعلمتي الحياة صح.

(١٦)

في مصر والد حكمة مع والدته في شقتهم، يدعو الله أن يحفظ ابنته حكمة ويفك سجن ابنه أحمد. وإذا بجرس الباب يدق، يفتح الباب فاذا بأخته واخوه وابن أخته المحامي، وعلى ملامحهم شعور الغضب.

يدعوهم للدخول ويدور الحوار:

الأخت " عمة حكمة ": فين حكمة يا أبو أحمد؟

الأب: حكمة في بلد بره. الدكتور آدم سفرها في شغل وطمني عليها.

الأخ " عم حكمة": هو إحنا عندنا بنات تسافر بره كده لوحدها من غير ما تكون متجوزة؟ إنت بوظت عيالك يا أبو أحمد.

الأب في حالة انفعال وغضب: أنا عارف أنا مربي بنتي إزاي. أنا علمتها تخاف من ربنا اهم من أنها تخاف مني. بنتي تروح لأخر الدنيا وانا واثق فيها. ومحدش يجيب سيرة عيالي تاني.

ابن الأخت " المحامي ": ما هو لما بيحصل حاجة كلنا بننضر في الآخر، يعني أحمد اللي في السجن دلوقتي، مش دي سمعة عيلة يا خال؟

يزداد انفعال الأب: محدش له دعوة بعيالي، وبعد كدة لما يبقى يحصل حاجة مش عاوز حد فيكم يبقى يقف جنبي.

الجدة ذات السمع الضعيف لا تستطيع أن تستمع لما يقولون، ولكن شعورها كأم ألهمها بأن أبناءها في خلاف فتبكي قائلة:

خليكم حنينين على بعض، اقفوا جنب أخوكم، حرام عليكم كفايا اللي هو فيه.

(١٧)

تمر الأيام وحكمة تتقرب من يوسف وتشعر معه بطعم آخر للحياة. فكل يوم ترى معه مواقف جديدة تتعلم منها كيفية التعامل المريح مع الحياة. تمر الأيام ويوسف يزيد احتواءه وشعوره بالحب لحكمة، ويراها بعينيه إنها مزيج من البراءة والأنوثة في آن واحد. أحياناً يشعر بأنها حبيبته، وأحياناً ابنته، وأحياناً ضميره الذي يجعله يكره أن يخطأ مرة أخرى بحياته، حتى لا يحرمه الله من هذه النعمة التي رزقه بها. فهو يرى أن وجود حكمة بحياته نعمة، فهي الإنسانة الجميلة المتعلمة المثيرة النقية في آن واحد. والأجمل في رؤيته لها انه يشعر معها بالراحة وان وجودها يغنيه عن كل النساء.

وهذا الشعور من الصعب أن يتمكن من رجل، وخاصة إذا كانت النساء تحيط به وترغبن ملازمته، وكل منهن تتنافس على قلبه.

ورغم كل هذا فإلى الآن لم تعبر حكمة بشكل صريح ليوسف عن شعورها تجاهه. ولكنه يلتمس شعورها من ارتياحها في تواجدها معه. فهذا لم يؤرق يوسف لأنه كان يعلم جيداً أن هذا امر طبيعي، فالحب

لا يأتي من يوم وليلة ولكنه يأتي بالمواقف والأيام، ولذا فقد كان يوسف في قمة سعادته أن حكمة معه تشاركه الحياة كصديقة، فكان يعتبر أن هذه فرصة جيدة لأن يثبت لها حسن الجدارة. ولم يكن لديه رغبة في استعجالها كما أوصاه صديقه ميلر، أو الضغط عليها بالارتباط به أو النظر إليه كنظرة الأنثى للرجل، لأنه كان بداخله يقين بأن الاستعجال والضغط امر خاطئ، وان الصداقة الحقيقية النقية من الممكن أن تنجب اطهر وأجمل قصة حب بالوجود إذا أخذت وقتها الكافي.

مرت الأيام ومرت حكمة مع يوسف بالعديد من المواقف الحياتية التي اكتسبت فيها كيف يمكنها الجمع بين عقلها وقلبها عند التعامل مع البشر والظروف، وكانت من أبرز هذه المشاهد ما يلي:

المشهد الأول:

يأتي الأخ الأصغر ليوسف ليطلب منه مبلغ كبير من المال.

يعطيه يوسف المبلغ بعد أن يأخذ منه توقيع على إيصال أمانة يلزم اخوه برد المبلغ له.

تتعجب حكمة قائلة: إزاي يا يوسف؟!! إزاي!!! أنت الحمد لله عندك فلوس وبتمضي أخوك؟ إيه القسوة دي؟

يوسف يبتسم: هقولك بعدين.

تمر الأيام ويأتي الأخ ليرد النقود ليوسف.

يرفض يوسف اخذ النقود.

تتعجب حكمة: ليه؟!! ليه مأخذتش الفلوس؟ ولما إنت مش هتاخدهم ليه بتمضيه من البداية؟ وتخلي أخوك تصعب عليه نفسه منك؟

يوسف: عشان أنا كنت عاوز اعلمه أن لما يأخذ حاجه يرجعها. هو كدة لما مضى هيضطر يفكر ألف مره قبل ما يضيعهم في أي حاجه مش مفيدة. عشان اللي بييجي بالسهل ممكن يروح بالسهل. فمش عاوزة يعتمد عليا وخلاص.

وتمر الأيام ويأتي أخاه مرة أخرى لاقتراض مبلغ صغير من المال. ويوقع على وصل أمانة آخر ليوسف. وعندما يعود لتسديد المبلغ. يأخذ يوسف المبلغ منه.

تتعجب حكمة قائلة: معقول يا يوسف !! يعني أنت أخدت منه المبلغ الصغير ده وماخدتش منه قبل كدة المبلغ الكبير؟

يوسف: عشان أخويا لو اتعود إني مش هاخد منه كل مره فمش هيهتم بانه يتحمل المسؤولية ويرجعهم. ولو لقاني إني كل مرة باخد منه اللي بيرجعه حتى ولو مبلغ صغير، فممكن ده يعمل حاجز بيني وبينه ويحس إن مفيش فرق بيني وبين أي حد غريب. عشان كده أنا بقصد أعامله بالعقل من غير ما أفقد العاطفة اللي بيني وبينه. فلازم ميبقاش عارف امته هاخد وامته مش هاخد.

المشهد الثاني:

من الموظفين عند يوسف اثنين عكس بعض في صفاتهما.

أحدهم صادق جدا مع يوسف وطيب ولكنه لا يحسن التصرف، فهو يتصرف بشكل عشوائئ.

والآخر ملاوع ولكن درجة ذكاءه عالية.

في يوم استدعى يوسف الموظف الطيب العشوائي وأنهى خدمته، وأعطاه مكافأة.

ومن ثم استدعى الموظف الملاوع وأسند له أعمال هامة.

تعجبت حكمة: يوسف معقول؟!!

بتمَّشي الإنسان الصادق معاك واللي بيحبك وبتخلي الملاوع اللي بيمصلح عليك؟!!

يوسف: ربنا بيدينا العقل نعمة عشان نستخدمه مش عشان نهمله ونستخدم قلبنا بس يا حكمة.

الأول بيحبني وانا بحبه وبيحترمني وأنا بحترمه، والدليل إني مشيته بطريقه محترمه مفهاش أي إهانة أو جرح. مع انه غلط غلطة كبيرة وخسرني فلوس. الحب حاجة يا حكمة والمعاملات والشغل حاجه تانية. أنا كراجل أعمال ناجح محتاج لناس بتخطط وتفكر. والمثل بيقول صاحب عدوك ولا تصاحب الغبي. وانا بصاحب عدوي وبصاحب الغبي بس في الأصحاب، وأتحمل عيوبهم. إنما في الشغل لازم اللي بيشتغلوا معايا يكونوا على أد المسئولية، والا ربنا هيحاسبني على نفسي. ربنا مديني الفلوس والشغل نعمة لازم أحافظ عليها، وأنميها، والا هكون بضر نفسي ومش مقدر نعمة ربنا.

حكمة: بتمشي الراجل عشان غلطه!! إيه القسوة دي !!

يوسف: ليه بتحكمي حكم سريع على المواقف؟ مين قالك أن دي أول غلطه له؟ ياما غلط وياما حاولت اعلمه وأدربه بس مفيش فإيده.

حكمة: وليه تخلي معاك الملاوع اللي بيمصلح عليك؟

يوسف: لأن هو مهما حاول يسرق هيسرق كام يعني؟ كلام فاضي.

أنا مش مديله الصلاحيات اللي يقدر يسرق بيها كتير، لكن هو ممكن في بيعة هتكسبني مليون هو يسرق خمسين ألف، ماشي مش مشكلة، مع انه لو صبر أنا ممكن أعطيهم له مكافأة، بس أنا عشان ببقى عارف انه أخدهم من ورايا فمش بطلعله مكافأت. فهي هيه. وبعدين اللي بيسرق بيحط نفسه هو في موقف محرج أدام ربنا. فبيضر نفسه لكن مش بيضرني أنا. لأني صاحيله كويس.

المشهد الثالث:

أثناء احدى سهرات حكمة مع يوسف وأصدقائه، يأتي شاب يعبر مظهره الخارجي وطريقة مشيته على انه في مشكله، ويطلب مقابلة يوسف.

يترك يوسف كل الحضور ويستجيب لمقابلته على الفور، ويرحب به ويأخذه على انفراد، ويقرضه مبلغ من المال ويودعه.

تسأل حكمة يوسف عن هذا الشاب البسيط، وتستعجب بأنه ترك أصدقائه وجلس مع هذا الشاب ما يقرب من نصف ساعة.

فيجيبها يوسف انه كان يتجول في شوارع لندن منذ أسابيع، ووجد هذا الشاب يعزف بالشارع وسط المدينة، والناس تحن عليه وتعطيه عملات معدنيه، وعندما اقترب منه يوسف فوجئ بأنه شاب مصري الجنسية، واشتكى ليوسف من عدم قدرته على اخذ فرصته في مصر والوصول لحلمه في أن يصبح ملحن مشهور، فقرر أن يترك بلده ويسافر.

فوعده يوسف بأن يعطيه مبلغ من المال، ويجري اتصال هاتفي بأحد معارفه في مصر ليساعده ويعطيه الفرصة لطموحه، وأعطاه يوسف عنوان منزله بلندن ليأتي إليه.

المشهد الرابع:

يوسف في زيارة عند صديقه المريض بالمستشفى يدعى "عادل".

وبعد الزيارة يقترح يوسف على حكمة أن يسهرا سويا في احدى المقاهي الليلية.

حكمة: يوسف أنا احترت فيك، مرات أحسك حنين أوي، ومرات قاسي أوي. إنت مين فيهم؟

يوسف: في إيه؟ ليه بتقولي كده؟

حكمة: إزاي عمال تقولي أن ده صاحبك من زمان وبتحبه أوي وصممت أننا نروح نزوره سوا، وإزاي طالع عاوز تسهر وترقص؟ إزاي جيالك نفس للانبساط والسهر وصاحبك عيان كده؟

يوسف: لان مرات المرض بيكون نعمه ورزق لصاحبه.

حكمة: المرض نعمة !! المرض رزق !!

يوسف: بصرف النظر عن أن المرض بيكفر من سيئات صاحبه، لكن صاحبي يا حكمة كان مش عارف يشوف أولاده لانهم دايما مشغولين عنه، كان دايما يسألني سؤال واحد".

"تفتكر يا يوسف أن في أولاد في الدنيا يكونوا مش بيحبوا بباهم"؟

أنا مكنتش بفهم مغزى سؤاله ومبقاش عارف أرد عليه أقوله إيه.

لكن شفتي إزاي أن المرض خلي ولاده متجمعين حواليه بالمستشفى؟ يمكن ربنا عاوزة يتمتع بيهم شويه.

حكمة: يوسف هو أنت مش خايف عليه يجراله حاجه؟

يوسف: لا مش خايف لكن بتمنى يقوم بالسلامة.

حكمة: إزاي بتحبه وازاي مش خايف؟

يوسف؟ عشان هو طيب وعمري ما هكون احن عليه من ربنا اللي خلقه.

حكمة تتذكر دانا وتحن إليها كثيرا: إزاي قدرت تنطق الكلام ده، ده لو أنا صاحبتي تعبت كدى هتعب وراها.

يوسف: عشان زي ما ربنا أدانا القلب اللي نحب بيه ونحس بيه بألالام الي حوالينا، فهو كمان أدانا العقل عشان نفكر بواقعية.

يقترب منها، يربت على كتفها قائلاً بصوتٍ رزين:

كلنا هنموت يا حكمة. الموت واقع. الرسل كانوا أحسن البشر وماتوا. ولو أنا مأمنتش بقدر ربنا يبقى استاهل أن لو حصلت حاجة اتصدم.

تنظر إليه وكأن عقلها يستوعب شيء جديد عليها.

يضمها إلى صدره ويقول:

وممكن صاحبي يعيش أكتر مني، بس ممكن كمان يموت قبلي. متعلقيش نفسك وتبني سعادتك على إنسان معين أو مكان معين لان ده غلط جداً.

تستوعب هي كلامه بعقلها، ولكن شعورها بضمته هو الذي ساعدها على الإستيعاب.

ينتهي من كلامه وهي لا تزال في أحضانه حتى يفك هو يديه أولاً.

(١٨)

بعد المشهد السابق بالتحديد حكمة تشتاق كثيرا لأهلها وصديقتها في مصر، حتى يكاد الشوق أن يخنقها من شدة قوته.

تمسك بهاتفها المحمول ودون أي تفكير تجري اتصالا هاتفيا بوالدها. تعلو دقات قلب الأب ويشعر بأن الله ينعم عليه برنين التليفون، وإنها حكمة ابنته. يضغط الأب على زر الرد فاذا بصوت ابنته حكمة.

يتحدث الأب بصوتٍ عالٍ تملئه السعادة والرضا حتى تنهمر دموعه على ملابسه دون أن يشعر بها.

حكمة: وحشتني يا بابا.

الأب: وانتي كمان يا بنتي.

تستغرق المكالمة بين حكمة وأبيها ما يقرب من ثلث ساعة. تستوعب فيها حكمة أن أباها متزوج من جارتهم أم أحمد وانه اخفى عنهم هذا الأمر حتى لا يجرح شعورهم، وأنها سيدة طيبه والدليل على ذلك انهم لم يشعروا يوم بوجودها، وانه كان من الصعب والضرر عليه كرجل أن يظل طوال هذه السنوات بدون زواج. وان الدكتور آدم قد أخبر الأب بمكانها في نفس اليوم.

ويتحول شعور حكمة من الخوف والشك إلى الاطمئنان والندم وتتذكر كلام دكتور ميلر عن أضرار الكتمان.

وعلى الفور تتقوى حكمة وتتصل بدانا وتستقبل لهفة دانا عليها بكل برود، وتحكي لها ما قاله سعيد.

تضحك دانا ضحكة اندهاش وإنكار:

معقول يا حكمة بعد سنين الصداقة اللي بينا كلها دي تقوليلي كلام زي كده؟ لو كان سعيد كلامه مصدق بالنسبة ليكي أوي كده سيبتيه ليه؟

تحزن دانا كثيرا وتغلق السماعة بوجه حكمة برغم شوقها وسعادتها باتصالها.

تغلق دانا السماعة وتنهار في البكاء.

تنظر حكمة لهاتفها وتشعر بالخجل من نفسها، كيف صدقت سعيد؟ وتتذكر كلام ميلر.

(١٩)

كانت من عادات يوسف الغريبة بالنسبة لحكمة انه عندما يدخل الڤيلا يسأل عن حال كل الخادمات لديه بالاسم.

وفي يوم عاد يوسف لمنزله فوجد إحداهن مريضة، فدخل عليها غرفتها واحضر إليها الطبيب وعاملها برفق جدا، وأعطى لها إجازة لحين تصبح بخير، وطلب من باقي الخادمات القيام على رعايتها.

حكمة: يوسف كنت مشيتها وخلاص بدل ما تقعد تشيل همها.

يوسف: يعني أخدها لحم وارميها عظم؟

حكمة: يعني أما تعبت الخدامة عملت معاها كل ده وأما تعب صاحبك روحتله ربع ساعة وخلاص؟

يوسف: صاحبي بتصل بيه كل يوم وأطمن عليه وله أولاده وحبايبه كتير. إنما دي بتشتغل عندي يعني هتسأل عنها أدام ربنا وخصوصا انها ملهاش حد كمان.

(٢٠)

يوسف أثناء دخوله بالسيارة لشركته يتفاجئ أن مدير الشركة قد قام بتغيير رجل الأمن، لذا فالرجل لا يعرف أن يوسف صاحب الشركة.

أوقف موظف الأمن يوسف وطلب منه رخصة القيادة ليسمح له بدخول الشركة.

أعطاه يوسف الرخصة ودخل.

حكمة: أنت ليه مقولتش له إنك صاحب الشركة؟

يوسف: عشان محرجهوش وكمان قولت أشوف هيقوم بعمله وينفذ التعليمات ولا لأ. فأنا مبسوط أنه بيعمل كده.

(٢١)

بعد المشاهد السابقة كانت قد انتهت رحلة يوسف وحكمة وعادا إلى لندن مرة أخرى.

ذهبا حكمة ويوسف لميلر وعلمت حكمة أن آدم في لندن.

وشعرت بالسعادة لوجوده لأنه الرجل الذي وقف بجانبها، طلبت من يوسف أن يقدم لآدم الدعوة للعشاء ليتعارفا سويا.

تلقى آدم لدعوة وشعور الغيرة يتملكه، ولكن حبه لحكمة كان الحافز الوحيد له لقبول الدعوة، لكي ترتوي عيناه برؤيتها ويجلس معها ولو لقليل من الوقت.

(٢٢)

يوسف وحكمة في المطعم بانتظار قدوم آدم.

يدخل آدم المطعم وعيناه تبحث عن حكمة وكأنه عطشان يبحث عن الماء، يلتفت يمين ويسار في لهفة. وبعد ثوانٍ تقع عيناه بالفعل على شعرها من جانبها الأيمن، يتسمر آدم مكانه لثوانٍ ثم يقترب منها وكل أعضاء جسده في صراع ما بين سرعة الاقتراب للارتواء

من رؤيتها، وما بين تراجع الخطوات للهروب من إحساس الغيرة لكونها مع يوسف.

يظل آدم يقترب بخطواته البطيئة خطوة تلو الأخرى، حتى يصل إلى الطاولة.

فتقف حكمة وتبتسم ابتسامة سعادة وكأنها شاهدت إنسان من دمها أو رحمها ولم تراه سنوات عديدة.

لا شعوريا تقترب منه وتقبله وتحتضنه كحضنها لأحد أفراد عائلتها.

يستقبل آدم حضنها كعطشان يرتوي من الماء، حتى تكاد عيناه تمتلئان بالدموع، ولكنه سرعان ما يتماسك.

تلفت نظر يوسف نظرة عيون آدم وبداية ظهور الدموع، فيشعر بأن آدم يحب حكمة، ولكنه يتجاهل الأمر ويحاول إخفاؤه بداخله.

ينتهون من التعارف ومن تناول وجبة العشاء.

وأثناء الرحيل تكون حكمة في المنتصف وآدم على يمينها ويوسف على شمالها. أثناء خروجهم من المطعم ينحني كعب حذاء حكمة

فتكاد أن تسقط على الأرض، وتلقائيا تحتمي بيوسف فتميل عليه وتمسك بيده.

هنا يتأكد يوسف من أن حكمة تحبه، فيساندها لكي لا تقع، ويستكمل سيره اتجاه السيارة، يفتح لها الباب، ينتظر حتى تركب، يغلق الباب، يسلم على آدم ويتجه لركوب السيارة وعيناه تقول أن هذه هي اللحظة المناسبة.

(٢٣)

حكمة في السيارة مع يوسف، حيث تحكي ليوسف لأول مرة منذ عرفته عن حياتها وما مرت به وكيف كان لآدم دور كبير في احتوائها والوقوف بجانبها، ولماذا هي تدين له بالفضل في أشياء كثيرة، وتتمنى أن يسند لها ميلر وظيفة سريعا حتى تتمكن من سداد فلوس آدم.

يطيل يوسف التجول معها بالسيارة في شوارع لندن لكي يستمع لكل كلامها.

وبعد إنصاته لها يفاجئها قائلاً:

حكمة آدم بيحبك.

حكمة مندهشة: إيه !! لا أنت مش فاهم.

يوسف: حكمة آدم بيحبك. أنا راجل وافهم الراجل اللي زيي. وعارف أنا بقولك إيه كويس.

حكمة: لا ده الدكتور اللي كان متابع

يوسف يقطع كلام حكمة: حكمة إحنا لازم نبعد عن بعض شويه، وفي الفترة دي إنتي لازم تفكري وتأخذي قرار.

حكمة: قرار إيه؟

يوسف: أنا بحبك وعاوز أتجوزك. وآدم بيحبك فقرري إنتي عاوزة مين؟ وعشان تعرفي حقيقة مشاعرك وتقرري صح لازم نبعد شويه.

(٢٤)

آدم في الفندق، يفكر في موقف واحد فقط، لم يمر عليه مرور الكرام ولم يستطع تجاهله أمام نفسه، وهو احتماء حكمة بيوسف بعدما كادت أن تقع بالمطعم بدلا من إحتمائها به.

وهنا تأكد آدم بأن الشعور بالحب بين حكمة ويوسف شعور متبادل. فتحمل ألم الغيرة وضغط على نفسه وقرر العودة إلى مصر فورا. والبعد عن رؤيتها مرة أخرى حتى لا يؤلمه الحنين.

(٢٥)

كوثر ما زالت في حياتها التي تحدت العالم من أجلها، ولكن حالها يسوء يوم بعد يوم، وتشعر بأنها كانت لزوجها اللبناني مجرد فاكهة جميلة ولذيذة إصابة الملل من كثرة تناولها وإتاحتها أمامه وقتما يشاء. تشعر بالحنين لأبنائها ولكنه يرفض نزولها إلى مصر.

إلى أن جاء اليوم الذي تحدثت له بصراحة وعاتبته على تغير إحساسه تجاهها ومعاملته معها.

رد عليها بقسوة معبرا عن انه لا يمتلك وقت لمثل هذه التفاهات.

استقبلت كلامه وهي تشعر بالندم قائلة: فين الكلام الحلو؟ الرومانسية بقت تفاهات؟ ده أنت كنت بتتمنى مني كلمة، ده أنت عمرك ما كنت بتسمعني وانا متضايقه غير وأنت وأخدني في حضنك!!

الزوج: أوف إنتي ما بتملي من هالحكي؟

كوثر تغضب ويعلو صوتها: أنت نسيت أنا مين؟ إزاي بتأفف في وشي كده؟

يرفع الزوج يديه بكل بساطه ويصفع كوثر كف على وجهها.

تستقبل كوثر الصفعة في قلبها قبل وجهها. ويجول بذاكرتها شوكت واحترامه وتقديره لها.

شعرت كوثر بأنها أهانت نفسها. أين شركاتها؟ أين حياتها؟ أين أصدقائها؟ أين ڤيلتها؟ وسائقيها وخدمها؟ أين أبنائها؟ أين الحب الذي تركت كل هذه الأمور من أجله؟

وتحزن بداخلها حزن شديد، فتسوء حالتها الصحية يوم بعد يوم حتى تمرض وتدخل المستشفى.

(٢٦)

حكمة فكرت كثيرا وبعد مرور ثلاث أيام قامت بالاتصال بيوسف، وعبرت له عن أنها لا تستطيع الاستغناء عنه بحياتها. ووافقت على الزواج منه. استقبل يوسف كلامها الذي لامس أذنيه كملامسة السائل الدوائي للجلد المجروح، والذي دخل قلبه كدخول المسجون على أهله الذين لم يرهم منذ سنوات طويلة.

فكم تمنى يوسف من حكمة هذا الكلام، وصبر على صمتها وضعفها وقلة خبرتها بالحياة. ودار الحوار:

يوسف: يالا أنا جاي حالا أخدك نطلع على المأذون.

حكمة: بتقول إيه؟

يوسف: زي ما سمعتي بالظبط، انتي من اللحظة دي هتكوني مراتي.

حكمة تتذكر والدها فيقشعر جسدها والدموع تتلألأ في عينيها وتقول: أنا مش هتجوز غير عند أهلي في مصر وتنزل تطلب أيدي منهم.

يوسف: بابا !! انتي سافرتي لوحدك كل ده وعيشتي لوحدك وروحتي وجيتي وبتشتغلي في العلاقات العامة وتقوليلي بابا؟ انتي قاصر؟

حكمة: ولو حتى بقيت وزيرة ولو بقى عندي سبعين سنه، ولو مهما لفيت وروحت وجيت ومهما قابلت ناس في حياتي، هيفضل بابا هو ولي امري وله احترامه ومستحيل أتخطاه أو أوجع قلبه أو أهز ثقته بيا.

يوسف يزداد احترامه لحكمة وإعجابه بأخلاقها وتربيتها ويوافق على كلامها.

(٢٧)

حكمة ويوسف عند ميلر يشكرانه على ما قدمه لهما من دعم واهتمام لنماء قصة حبهما ووصولها لبر الأمان.

ميلر: تتذكر يا يوسف عندما قلت لك إنني أراهن على قصة الحب هذه؟

يوسف: وفاكر كمان لما قولتلي إنها هتبقى من انجح القصص في حياتي.

(٢٨)

حكمة مع يوسف في طريقهما للمطار متجهين إلى القاهرة. تسلم حكمة على شوارع لندن ورأسها مرتفعة للسماء، وعينيها تلمع من السعادة، وقلبها تملؤه طاقة إيجابية وحب للحياة، وأحاسيسها في اشتياق لاحتضان أحبابها في مصر.

وتتذكر آدم وتقرر أنها بمشيئة الله سوف ترسل إليه دعوة للفرح.

(٢٩)

حكمة تدق الجرس ودقات قلبها تدق معه، يفتح والدها الباب فترتمي بأحضانه لمدة خمس دقائق متواصلة، حيث تبكي ويبكي والدها، فتبلل دموع الفرح ملابسهما، وتمسح كل ما كتبته الأيام السابقة من صدمات، ويكتب الشوق بداية لحياة جديدة خالية من الكتمان، ومستندة على رؤية مصاعب الحياة من زاوية أخرى، زاوية تجعل الرؤية أكثر وضوحاً وحكمةً. وبالتالي تلهمهم التصرف الصحيح دون تعقيد وتضخيم للأمور، فالحياة ابسط مما كانا يتخيلانها.

حكمة ما زالت في أحضان والدها، إلى أن تتذكر أن يوسف معها. فتقدمه لأبيها على انه من أهم الرجال الذين وقفوا بجانبها في لندن، وأنها تربطها به صداقة وحب واحترام وصدق جعله يأتي لطلب يديها من أبيها.

لم يشعر الأب للحظة بالخوف على ابنته، أو القلق من ظهور هذا الرجل، وذلك لأنه يثق في اختياراتها ويعلم أن ابنته طيبه ويؤمن بأن الطيبين للطيبات.

وأثناء ترحيب الأب بيوسف اذا بصوت زغروطة. أنها جدت حكمة.

تلتفت حكمة لجدتها وتجري نحوها وترتمي بأحضانها، وتُقَّبل كل جزء في جسدها قائلة: سامحيني يا ستي اتلهيت في تقديم يوسف لبابا، ونسيت أسلم عليكي.

الجدة ذات السمع الثقيل: الربابة، طبعا يا حبيبتي لازم نجيبهم في فرحك يغنوا على الربابة.

هنا تتذكر حكمة أخاها أحمد، فتشعر بحزن في قلبها على وجوده بالسجن، تختفي ابتسامتها وتتغير تعبيرات وجهها، وبعد أن كانت حكمة منحنية لاحتضان جدتها، تركت جدتها ووقفت في هدوء شيئا فشيء.

نظرت لغرفة أحمد واتجهت نحوها بخطوات بطيئة، حتى وصلت للغرفة.

دخلت وفتحت دولاب ملابسه وأخرجت قمصانه، وأخذت تشم رائحتها وتحتضنها وتبكي حتى ارتفع صوت بكاؤها.

سمع الأب صوت البكاء فتفهم السبب.

تعجب يوسف فأوضح له الأب الأمر.

قام يوسف بعرض خدماته.

خرجت حكمة من الغرفة ووجهت كلامها لأبيها: بابا عاوزه أروح أزور أحمد حالا.

الأب: يا بنتي مفيش مواعيد زيارة دلوقتي.

يوسف: هو في سجن إيه؟ علشان أكلم حد يساعدنا نشوفه.

وبالفعل استطاع يوسف بعلاقاته أن ينجح في ترتيب الزيارة.

(٣٠)

حكمة ويوسف والأب في السجن بانتظار خروج أحمد.

جاء أحمد وهو ينظر للأرض شاعرا بالخجل من حكمة.

وعندما شاهدت حكمة أحمد شعرت بأنها عادت طفلة من جديد، ففرحتها برؤيته جعلتها تنسى انه في السجن. قفزت إليه، وتعلقت برقبته، وأخذت تغني له الأغنية التي كان دائما يغنيها لها:

(والله أنا لو مشهور.. عمري ما هكون مغرور.. وده حلم يا ريته يتحقق.. بس الواقع يتصدق).

استمرت حكمة في الغناء وأحمد يبكي ويحتضنها بقوة.

يوسف: أحمد أنا عندي ليك خبر حلو.

أحمد ينظر له وينظر لحكمة يريد أن يقول من هذا ولكنه يستحي أن يتسبب له في الإحراج.

يوسف: لحظة واحدة هتسمع بنفسك حالا.

يمسك يوسف جواله ويجلس بكل ثقة ويجري اتصالا هاتفيا بالملحن الشاب الذي ساعده بلندن، والذي أصبح الآن معروف بمصر.

يطلب منه مساعدة أحمد، وانه سيقابله به قريبا.

ظهرت على وجه أحمد علامات التعجب والسعادة والرضا وقال: الحمد لله يا رب، أشكرك يا فندم. ثم توقف عن الكلام وكأنه تذكر شيء ويقول: عفوا هو حضرتك زميل حكمة في الشغل؟

حكمة تبتسم: أنا لسه وأخده إجازة من الشغل لحد دلوقتي يا أحمد.

أحمد: أنا عارف إنك سافرتي تستغلي بره، وكنت بسأل بابا عنك كتير أما كان بيجيني زيارات.

يوسف: أنا فعلا اتعرفت على حكمة في لندن وجيت مصر اطلب أيديها من باباها ومنك.

الأب: والفرح هيكون بإذن الله بعد ما تخرج بالسلامة.

أحمد: هانت كلها شهر. مبروك يا حبيبتي.

(٣١)

أثناء عودة حكمة ويوسف والأب من السجن اشترطت حكمة أن يتم تأجيل الفرح لحين انتهاء الشهر الباقي من مدة أحمد في السجن.

وافق يوسف وتركها مع أهلها لتقوم بتجهيز أمورها. وعاد هو للندن لتجهيز أموره.

(٣٢)

لم تصبر حكمة على رؤية دانا لليوم التالي. استسمحت والدها بأن تذهب إليها اليوم.

في طريقها لدانا راودها شريط أجمل ذكريات مع دانا، وظلت تتذكر هذه اللحظات طوال الطريق والابتسامة لم تفارق وجهها، حتى وصلت للضحك بصوت عال دون أن تشعر.

تعجب سائق التاكسي لضحكها وظن أنها ليست إنسانه طبيعية، فأسرع في القيادة ليتخلص منها سريعا.

(٣٣)

دخلت حكمة الڤيلا ففوجئت بشوكت والد دانا يجلس على كرسي متحرك أمام التلفاز. اهتز قلبها واقتربت منه مرددة: عمو عمو ألف سلامة على حضرتك.

شوكت: حمدلة على السلامة يا حكمة. ادخلي لدانا في المطبخ عشان الشغالات نايمين وهي صممت تعملي حاجه سخنه اشربها.

اتجهت حكمة للمطبخ، وإذا بدانا تحمل المشروب الساخن الذي أعدته لوالدها، تتفاجأ أمامها بحكمة فيسقط الكوب من يديها وترتمي بأحضانها، وتضحك وتبكي في آن واحد.

(٣٤)

حكمة ودانا على الأرجوحة بحديقة الڤيلا، فكثيراً ما اعتادا قضاء الوقت على هذه الأرجوحة سوياً.

تحكي دانا عن والدها والظروف التي مر بها. وعن والدتها وإنها حاليا في المستشفى بلبنان والأب مانع دانا من الذهاب لرؤيتها. وان التواصل بينها وبين والدتها انقطع منذ دخولها المستشفى.

حكمة: أنا مستعدة أسافر لطنط كوثر لبنان وأطمن عليها بنفسي طالما أن بباكي مانعك.

(٣٥)

حكمة مع والدها في المنزل حيث تحكي له قصة أم دانا فيتعاطف الأب مع القصة، تطلب منه حكمة أن يسمح لها بالسفر للاطمئنان على كوثر. يخاف الأب على ابنته قائلاً:

يا بنتي ملناش دعوة دي عند راجل غريب يمكن مش عاوز حد يروحلها فيتخانق معاكي هناك، واحنا لينا مين في لبنان.

حكمة: لا يا بابا انت ماربتناش على أن نسيب أصحابنا في اكتر وقت هم محتاجيلنا فيه، وبعدين عمر ربنا ما يضر إنسان رايح يعمل خير.

يخجل الأب من كلام ابنته: اللي تشوفيه صح اعمليه، بس متقوليش أدام عمك ولا عمتك عشان بيفضلوا يقطموا فيا " انت سايبها براحتها ودي بنت وكده غلط، أنت وأنت ".

حكمة: حاضر مش هقول، بس هقول ليوسف عشان يبقى عارف.

(٣٦)

حكمة في المستشفى عند كوثر، حيث دخلت الغرفة فتفاجأت بأن كوثر بمفردها بالمستشفى بدون زوجها أو أي أحد من أهله. كما أن وزنها زاد، ولم يعد لوجهها بريقه ونضارته المعتادة. والحزن يخيم على سريرها ونفسيتها.

تظل حكمة بجانب كوثر تنتظر أن تصحو من النوم. يصيبها الملل من طول وقت نوم كوثر فتخرج لسؤال الأطباء والممرضات عن حالتها، فيجيبونها بأن كوثر بحالة نفسية سيئة وان هذه الحالة مؤثره جدا على حالتها العضوية. وإنها بمفردها منذ دخولها المستشفى ولا يأتي أحد لزيارتها، وزوجها يقوم فقط بتحويل التكاليف على حساب المستشفى بالبنك.

تحزن حكمة حزن شديد على حال كوثر حتى تكاد أن يصيبها اكتئاب، ولكنها سرعان ما تتذكر جملة يوسف " مش هنكون احن على حبايبنا من اللي خلقهم وخصوصا لو كانوا طيبين" هذه الجملة تجعل حكمة تسترجع قواها للدخول لكوثر دون خوف أو ضعف.

استيقظت كوثر من نومها فوجدت حكمة أمامها، ابتسمت ابتسامة يختلط فيها الفرح مع الحزن قائلة: رجعيني مصر نفسي أشوف عيالي.

حكمة: أنا جاية عشان أرجعك، لكن عشان يسمحولنا في المطار إنك تسافري لازم حالتك تكون كويسة. فعاوزاكي تقومي بالسلامة بسرعة وانا معاكي مش هسيبك.

(٣٧)

مر أسبوع وحكمة مع كوثر بالمستشفى ترعاها وتساندها نفسيا، وتتابع حالتها مع الأطباء، ولا تخوض معها في قصـــتها المؤلمة عن زواجها من اللبناني حفاظا على شعورها، إلى أن أتت اللحظة وبدأت كوثر من تلقاء نفسها قائلة:

حكمة أنا خفت ربنا ولما لقيت نفسي بحبه ولقيت معاه كل المشاعر اللي إتحرمت منها في حياتي، مرضتش اقعد لحظة على ذمة شوكت وانا قلبي مع راجل تاني. مرضتش أغضب ربنا. كان ممكن أعرفه من غير ما حد يعرف. لكن نزلت مصر صممت على الطلاق ورجعت أتجوزته على سنة الله ورسوله. لكن كنت غلطانه كان لازم مجريش على الحاجة اللي اتحرمت منها بقلبي بس من غير ما افكر في تفاصيل الأمور وتوابعها. على الأقل كنت أطلقت وتجوزت واحد ظروفه مناسبة لظروفي.

حكمة تتذكر استعجالها في الحكم على كوثر وتتذكر كلام ميلر وتقول: يا طنط حضرتك معملتيش حاجة غلط، كون انه أصغر منك ما الرسول عليه الصلاة والسلام أتجوز السيدة خديجة وكانت أكبر منه.

كوثر: مش بقصد انه مش مناسب في السن، لكن بقصد انه مش مناسب في أخلاقه ومبادئه وظروفه. ماكنش عيب إني أتطلق ومكنش عيب إني أتجوز تاني، بس كان مهم أخد واحد ظروفه مشابهه لظروفي، على الأقل يكون مطلق وعنده عيال عشان يقدر شعوري ناحية ولادي. وعلى الأقل أكون واثقة من رجولته، عشان

ميرفعش أيده عليا في يوم من الأيام. وتبكي كوثر بكاء شديد فتدمع عينان حكمة وتحتضن كوثر قائلة:

عيطي يا طنط العياط بيريح، مش عيب إننا نغلط لكن العيب إننا نستمر في غلطنا.

(٣٨)

كوثر مع حكمة فقد وصلتا القاهرة.

طلبت كوثر من حكمة أن تقوم بتوصيلها لمنزلها القديم بحي الحسين. حكمة ترفض وتخبرها بأن دانا وفارس بانتظارها بالڤيلا. تخاف كوثر من مواجهة شوكت طليقها وتشعر حكمة بذلك فتبادر قائلة:

عمو شوكت عرف أن حضرتك على وصول فراح عند أخواته بالعزبة لحد ما نرتب الأمور.

(٣٩)

ذهب شوكت بجرحه عند إخوته لأنه لا شعوريا ما زال يحب كوثر ولكن رجولته تمنعه من التصريح بذلك، هذه الرجولة أيضا هي التي

منعته من التخلي عن أم أولاده في مرضها، وهي نفسها الرجولة التي جعلته يمنع دانا من السفر لامها.

دخل شوكت لأهله وهو يستمع طوال الطريق منهم لما لا يرضيه، فالجميع يوجه إليه عبارات لوم وسخرية وعتاب على تركه القيلا والسماح لها بدخولها مرة أخرى.

ولكن شوكت لا يهتم بكلامهم، ويبرر قائلاً:

وجودها بالقيلا عشان الأولاد مش عشانها.

(٤٠)

استقبلت دانا أمها بالترحاب، بعدما أصابها جفاف عاطفي تجاهها، ولكن أخلاقها التي نشأت عليها ومرض أمها خلقوا بداخلها الرحمة تجاهها.

سألت كوثر على فارس فور دخولها: فارس فين يا دانا؟

دانا: حاضر يا ماما هناديه، تعالي بس أدخلك غرفتك ترتاحي وهناديه يجيلك لحد عندك.

دخلت كوثر غرفتها في صمت، تنظر لصورة شوكت، وتشم رائحته في كل مكان بالغرفة، وتشعر بالذنب وتأنيب الضمير تجاهه وتجاه ظلمها لنفسها. ولكن كبرياءها يمنعها من إظهار ذلك أمام أبنائها.

(٤١)

دانا تدخل على فارس الغرفة: يالا يا فارس عشان ماما وصلت وبتسأل عنك.

فارس بشعور الاشمئزاز: مش طايق أشوفها.

دانا: ماما جاية تعبانة أوي، شوفها لوجه الله عشان ربنا يكرمك.

فارس: مش طايق، بكرهها.

دانا: في إيه يا فارس!! كفايا بقى، دي مامتنا برده، ده سيدنا إبراهيم كان باباه كافر وبيعبد الأصنام، وبالرغم من كده عمره ما عامله وحش. بقولك جايه تعبانة أوي.

فارس يختلط عليه شعوران متناقضان (الحنين لأمه وحضنها، الكره لها) ولا يدري هل هو بالفعل كرهها؟ أم كره أفعالها التي قامت بها؟ أم كره الظروف التي جعلت عائلتهم تمر بهذه المرحلة؟ يحن لأمه

ولكنه لا يظهر شعوره أمام أخته ويقول: طيب روحي وانا جاي وراكي.

(٤٢)

يطرق فارس الباب على امه فتسمح له بالدخول، ينظر إليها من بعيد في صمت ويطيل النظر، يرى في وجهها الحزن والمرض، فيقترب منها، يغلب عليه الصمت، فشفتاه تريدان أن تنطقا ولو كلمة ولكن يتملكه إحساس أقوى من الكلام يمنعه. يقترب ويقترب إلى أن تنطلق شفتاه قائلاً: حمدلة على السلامة.

الأم: تعال في حضني يا فارس.

الأبن يقترب إليها بجسده ولكن مشاعره ترفض حضنها.

تشعر الأم بجفاء مشاعر ابنها فتكتم شعورها خجلا منه، وتتذكر اللبناني الذي بعدت من أجله عن هذا الشاب وسافرت، فتمتلئ عيناها بالدموع، وبشكل تلقائي تقول لابنها وهو في أحضانها: هو طلقني يا فارس متخافش، أول ما دخلت المستشفى طلقني.

يرتفع صوت بكاؤها حتى يهتز جسد الأبن فيبكي لحال امه.

(٤٣)

تمر الأسابيع ويخرج أحمد من السجن ويذهب بالفعل للملحن الشاب. فيرفض الملحن مساعدته إلا بمقابل مادي.

يستقبل أحمد الأمر بابتسامه قائلاً: شكرا.

ويخرج من المكتب ويجري اتصالا هاتفيا بيوسف ويروي له ما حدث.

يغضب يوسف كثيرا في نفسه ولكنه لا يظهر غضبه ويقول: عادي يا بو حميد سيبك منه، حبايبنا كتير، وهساعدك متقلقش.

أحمد: أنا مش زعلان بالعكس، طول ما أنا بصحتي وبحريتي الحمد لله هفضل أسعى وأكيد ربنا هيكرمني في يوم من الأيام. أنا اتعلمت كتير يا يوسف من التجربة اللي مريت بيها، لما تيجي هنتكلم مع بعض.

يوسف: ان الله لا يضيع اجر من أحسن عملا، ولو الناس والظروف ظلموك فربنا عادل.

أحمد: ونعم بالله، أنا مش ممكن أنسالك وقفتك دي جنبي.

يوسف: أنا سعيد إنك بتشكرني لان من لا يشكر الناس لا يشكر الله، لكن لازم تعرف أن مفيش حد بيعملك حاجة، إنما ربنا بيبعت لك ناس كسبب، فمتزلش نفسك لحد، أسعى وأنت مستغني.

تعلق هذه الجملة بذهن أحمد. يفكر مع نفسه قائلاً: أسعى وانا مستغني !! إيه الكلام الكبير ده !!

ينتهي يوسف من مكالمته مع أحمد، فيحذف رقم الملحن الشاب من على جواله ويحذفه من على الواتس اب. ويقرر عدم التعامل معه مرة أخرى.

وينزل يوسف مصر لاقتراب موعد الفرح.

وفي احدى الأيام يأتي الملحن الشاب الفندق الذي يسكن فيه يوسف ويطلب مقابلته.. وبالرغم من أن يوسف كان مع حكمة في صالة الاستقبال، وبرغم انه كان ليس مشغولاً، ولكنه ترك هذا الملحن ما يقرب من ساعتين ينتظره. وفي النهاية قال له انه لا يستطيع مقابلته اليوم.

وعبر يوسف لحكمة عن شعوره قائلاً: أنا متضايق منه طبعا عشان أنا إنسان وحقي إني أتضايق، وبأيدي إني أضره، ولكن مش هعمل كدى، كفايا إني أبطل أتعامل معاه.

مرات الاجتناب والتجاهل بيبقى أقوى عقاب للنفوس الضعيفة.

حكمة: كل يوم أتعلم منك حاجة أجمل من التانية.

(٤٤)

أيام قليلة وتم تأجيل الفرح لوفاة كوثر على سريرها في غرفة نومها.

توفت كوثر وصرخت دانا صرخة هزت جدران الفيلا، وظلت تبكي: لا لا لا ماما ملحقناش نستمتع برجوعك يا ماما، لا لا مستحيل، يعني إيه.

سمع فارس صراخ دانا فانتفض يجري تجاه غرفة امه، وهنا شعر بمقدار الحب الشديد الذي كان يكنه لها. لقد كان يعشقها، وبقدر عشقه لها بقدر ما غضب من رحيلها، وبعد عنها طوال فترة سفرها.

اخذ فارس يقبل يد امه وقدميها ويبكي كالطفل الصغير، ويحاول ايقاظها: " ماما ماما اصحي يا ماما اصحي هنسافر سوا أنا وانتي، طيب اصحي هوديكي المستشفى لو تعبانه، ماما ماما".

في هذه اللحظات قامت الخادمة بالاتصال بشوكت وحكمة.

استقبل شوكت الخبر كاستقبال القلب للسهم القاتل. انهمر في البكاء أمام الناس لأول مرة في حياته: لا لا، كوثر !! لا مش ممكن، أكيد غلطانين.

واستقبلت حكمة الخبر وهي في سيارتها فقامت بالفرملة المفاجئة مردده: " لا إله إلا الله".

(٤٥)

في جنازة كوثر يوجد شوكت الذي حاول استعادة قوته من اجل عدم انهيار أبنائه، وقام بترتيب كل أمور الغسل والجنازة والدفن.

كما توجد حكمة التي تتذكر مشهد وفاة والدتها وهي طفلة صغيرة، وتفكر في كيف لو كانت بخلت على هذه العائلة ولم تسافر لبنان وتساعد كوثر في المجيئ إلى مصر.

دانا وفارس يتملكهما الحزن والأسى، ويتذكر فارس حديث الرسول علية الصلاة والسلام فيما معناه (إذا ماتت الأم نزل ملك من السماء يقول: يا بن آدم، ماتت التي كنا نكرمك لأجلها، فاعمل لنفسك نكرمك).

د/ آدم يتذكر مشهده مع شوكت عندما نصحه بأن يعبر لكوثر عن شعوره وحينها ضحك شوكت على كلامه ورد عليه قائلاً: " هو أنا مراهق".

كما يوجد د/ ميلر حيث يدفع شوكت بكرسيه المتحرك.

(٤٦)

تم دفن كوثر، ودفنت معها الحياة في عائلتها. دفنت كوثر ودفن معها أمل شوكت وابتسامة دانا وشباب فارس، وشعروا جميعاً بأنهم قد تخطوا العمر وكبروا قبل أوانهم، فلم يعد لحياتهم روح.

مر أربعون يوم من الوفاة، ثم جاء أوان فرح يوسف وحكمة.

كان هذا الفرح فرصة ينتظرها كل أهلهما وأصدقائهما ومعارفهما، لتوديع ما مروا به من طاقات سلبية ومشاكل متلاحقة، فالجميع

ينتظر فرحة بفارغ الصبر، والجميع في اشتياق لمشهد يرد إليهم الروح من جديد.

في واحدة إحدى أكبر قاعات الأفراح المتواجدة بأكبر فنادق القاهرة يوجد كل أهل وأصدقاء يوسف وحكمة، منتظرين طلة العروسين، وجميعهم في قمة السعادة، فقد كان يوسف وحكمة محبوبين من أهلهما وأصدقائهما وجيرانهما والكل ينتظر طلتهما المشرقة.

وتمر الثواني والدقائق على المعازيم في قاعة الفرح التي يملأها طاقة إيجابية وأنوار ترقص من السعادة والبهجة. وصور لأهم نجوم الغناء بالوطن العربي حيث سيقومون بإحياء الحفل الليلة.

وبالفعل أعلن مقدم فقرات الحفل أن العروسين قد وصلا. وإذا بالأضواء والكاميرات جميعها تتجه لمكان دخولهما، ودعوات المعازيم تحيط بالخير والبركة على مكان الدخول، والموسيقى تعلو بالتدريج، حتى يظهر وجه حكمة الملائكي الذي يشع نور من عند الله، بفستانها الأبيض الأنيق، وشعرها الذي تتلألأ به لمعة كل شعرة كنجوم تنير سماء الحياة، وتبث روح الأمل والتفاؤل بنفوس البشر.

تظهر حكمة وقلبها يرقص فرحاً، راضيا بما أنعم الله عليه وعوضه خير عن كل لحظة ألم ذاقها في الحياة.

تطل حكمة على المعازيم ويدها عالقة بيد أبيها، ورأسها للأمام دون انحناء.

تسير مع أبيها على نغمات الموسيقى في تصفيق حار من الحضور، حتى تصل إلى يوسف العريس الوسيم الأنيق. يقبل الأب جبين ابنته ودموع الفرح والسعادة تتلألأ في عينيه، والابتسامة الحنونة الراقية على وجهه، ويسلم حكمة ليوسف.

يأتي أحمد ويقبل جبينها، وتنضم إليهم زوجة الأب التي أصبح زواجها به ليس سراً فتضم حكمة ويوسف إلى حضنها.

تبدأ أسماء الله الحسنى، ومن ثم يعلن مقدم الحفل على أن الأغنية الأولى مفاجأة للعروسة.

ينتظر جميع الحضور المفاجأة، وإذا بأحمد أخو حكمة هو الذي يغني لها أول أغنية بفرحها.

تتفاجأ حكمة وتنظر ليوسف معبرة له عن فرحتها بهذه اللحظة التي طالما انتظرتها هي وأحمد. وتبدأ في الرقص مع يوسف وينضما إليهم دانا واخوها فارس، ويستمر الرقص والغناء حتى يأتي آدم.

يدخل آدم القاعة ومشاعر الغيرة تتملكه، ولكنه سرعان ما يتذكر كلام ميلر " من أحب إنسان حب حقيقي تمنى لو الخير والسعادة يحيطان به في أي مكان"، يشعر آدم بالرضا قليلا ويقول في نفسه " ده قدر ربنا، هعترض يعني على قدر ربنا ".

اكتمل الفرح على خير وذهبت حكمة لشقتها في مصر التي اشتراها يوسف باسمها، لقضاء ما يقرب من ثلاث أشهر فيها ثم العودة إلى لندن.

دخلا حكمة ويوسف الشقة فخرت حكمة على الأرض ساجدة شاكرة لله على كل نعمة انعم بها عليها، رفعت رأسها ويديها للسماء قائلة:

ده كتير أوي يا رب، كنت بدعيلك تعوضني خير عن اللي اتحرمت منه في حياتي، بس ماكنتش اعرف أن كرمك كتير أوي كدى، عوضتني بأنظف راجل في الدنيا، خليته يحبني وخلتني احب اللي حبني، حافظت لي على أهلي اللي كنت خايفه عليهم، كرمتني بوظيفة في عز ما الشباب مش لاقيه شغل، رزقتني بقلب نظيف، ورزقتني بناس تمد لي ايديها في عز محنتي من غير ما كنت اعرفهم، رجعتلي صديقة عمرى دانا، اظهرتلي الحقيقة، الف حمد وشكر ليك يارب.

يبتسم يوسف ويضمها إلى صدره، يلمس برفق على شعرها، يمسك وجهها بيديه التي يملأها الحنان، ينظر إلى عينيها نظرة الحبيب والأب قائلاً: وبشر الصابرين. ثم يقول فعلا اللي عاوز الورد من البستان لازم يدور للصبر عن عنوان. وانتي أجمل وردة أنا اتمنيتها وصبرت كتير عشانها وربنا ادهالي.

(٤٧)

تمر الأيام ويوسف وحكمة في اسعد لحظات حياتهما من الرومانسية والحب والرضا الذي أحاط بهما، ودعوات الأهل التي كانت كغلاف تحصين لهما من عيون الناس.

مرت الأيام والأسابيع وكل يوم يرتوي كل منهما بحنان الآخر وحبه، حتى جاءت لحظةٌ مرض فيها يوسف.

كانت حكمة بمثابة الأم والصديقة والزوجة والأبنة الصالحة له، فلم تتركه لحظة واحدة.

في بداية المرض كان يوسف بطبيعته الراضية المبتسمة وكأن شيئاً لم يكن، يذهب لمتابعة الدكتور بصحبة حكمة ويعود ليمارس حياته

الطبيعية دون قلق. وذلك لأن في بداية المرض كانت الأعراض بسيطة.

إلى أن جاء اليوم الذي شعر فيه يوسف بالعجز عن الحركة فأصابه الخوف، ونادى حكمة " حكمة ، حكمة ".

انتهت حكمة من صلاتها ودخلت عليه غرفة مكتبه، واذا بيوسف على الأرض: حكمة قوميني.

حكمة في ذهول !! تجري وتحتضن يوسف: في إيه يا حبيبي مالك؟ إيه اللي حصل؟ قوم.

يوسف: قمت من على الكرسي لقيت نفسي مش حاسس بجسمي ومش عارف أقوم.

حكمة لا تستوعب الموقف: تلاقيك بس أرهقت نفسك من الشغل على الكمبيوتر.

وتسرع حكمة وتحضر كوب ماء: اشرب بس وهتفوق.

يوسف في زعر: مش حاسس بأيدي، مش عارف امسك الكباية.

تسرع حكمة وتمسك بهاتفها المحمول ويداها تهتز من الخوف وتتصل بالإسعاف.

(٤٨)

يوسف في غرفة بالمستشفى بعدما أثبتت الأشعة والكشوفات انه مصاب بجلطة خطيرة في القلب. ويأتي مشهد النهاية.

يوسف نائم وحكمة تحتضن يده وتتأمل بكل تفصيله في وجهه، وكأن قلبها يشعر باقتراب النهاية، فيريد أن يشبع من ملامحه.

آدم خارج الغرفة بانتظار الاطمئنان على يوسف.

يوسف يستيقظ ويفتح عينيه فيرتوي من نظرات ولمسات حكمة الحنونة له قائلاً: المرض وحش أوي يا حكمة.

حكمة: فاكر لما قولتيلي أن المرض رزق من ربنا؟

يوسف تبدأ الدموع بالظهور في عينيه: اتعلمتي الحياة على حقيقتها يا حكمة.

حكمة تمتلئ عيناها بالدموع: أنت اللي علمتني حقيقة الحياة، أنت علمتني الحكمة يا يوسف، علمتني ازاي أكون قوية من غير ما

أدوس على إنسانيتي. أنت كنت اكبر نعمة ربنا رزقني بيها، أنا معاك عرفت يعني إيه حب حقيقي، وشفت الحياة من فوق، من فوق أوي يا يوسف، أنا كنت عايشة في دايره ضيقه أوي، عشان كدى كانت مشاكلي الصغيرة تأثيرها عليا كبير. إنما من يوم ما عرفتك وأنت أخدتني تحت جناحك وطيرت بيا لفوق وخلتني أشوف أد إيه الحياه ابسط بكتير مما إحنا بنعقدها، وأد إيه فيها مجالات كتير وناس اكتر، وان معلقش نفسي لا بإنسان ولا بمكان وكل حاجه في الدنيا ممكن نعوضها.

يوسف ينظر لحكمة والحب والألم والرضا يشعون من عينيه: حتى أنا يا حكمة ممكن تعوضيني ومتوقفيش حياتك عليا، أكيد ربنا جابني ليكي سبب في فترة معينة عشان عارف إنك محتاجاني في الفترة دي.

حكمة: لا يا يوسف كل حاجة في الدنيا تتعوض إلا أنت.

يوسف في تعب شديد حيث يثقل لسانه تدريجيا في الكلام: اللي رزقك بيا قادر يرزقك بغيري وباللي احسن مني كمان ..

في هذه اللحظة شعرت حكمة بأن أنفاس يوسف بدأت تهرب منها، فأخذت تضمه بقوة لتستعيد أنفاسه، وقد ظنت أن حضنها له سوف يعيده للحياة.... مات يوسف.

حكمة تصرخ : لا لا يارب لا ملحقتش اشبع منه في حياتي، يارب أخدته بسرعة أوي أوي لا لا.

آدم يقشَعر بدنه من صوت الصراخ فيسرع ويفتح الباب ويتسمر مكانه. ينظر ليوسف فتمتلأ عيناه بالدموع، ويتلعثم لسانه بقول "لا إله إلا الله، لا إله إلا الله".

تنظر حكمة لآدم: لا لا ، الحقني يا آدم ، الحق يوسف.

آدم ينظر للسماء ثم ينظر للأرض قائلاً: ولا تدري نفس ماذا تكسب غدا، ولا تدري نفس بأي ارض تموت.

عزيزي القارئ:

لن تنتهي الرواية، فقطار حياتنا يسير دون توقف، يركب معنا أناس من البشر، منهم من نألفه فنتمنى استمراره، ولكنه ينزل سريعا، ومنهم من ننفر منه فنتوقع نزوله، ولكننا نتفاجأ باستمراره.

الحياة أقدار من المستحيل إن تسير على وتر الأحزان طوال الوقت، أو وتر الأفراح باستمرار. ولكنها مزيج مما يرضينا وما ليس على هوانا.

إن أمنا بأن كل شيء رزقنا به الله هو نعمة، علينا استخدامها في الوقت المناسب وبالشكل الذي يرضيه علينا، لوصلنا لمرحلة الحكمة في الحياة.

فلقد أنعم الله علينا بالقلب لكي نرى الحقائق، ونستمتع بكل لحظة جميلة ونمتع بها الآخرين ونشعر بآلامهم. وخلق لنا العقل لكي نستخدمه ولا نهمله.

فالعقل يعطينا القوة، والقلب يعطينا الحياة. والاستغناء قوة والسعي واجب، فمن سعى مستغني ارتقى بنفسه لأسمى سبل الحياة.

عزيزي القارئ إن أردت الوصول لمرحلة الحكمة في شخصيتك فعليك الاحتفاظ باللقطات التالية في عقلك وقلبك معا:

- ليس بأيدينا أن يحيا العالم بسلام، ولكن بأيدينا أن يسلم من حولنا من شر أنفسنا وألسنتنا وعقولنا، فنشر السلام بدائرة معارفك الصغيرة، هو القوة الحقيقية لمواجهة دائرة العنف العالمية الكبيرة.
- الرجولة سند والأنوثة حياة. إن فقد السند الحياة فلا طعم لبقائه، وان فقدت الحياة السند، ذبل الورد من عنائه.
- لا تجعل سعادتك من العبيد فلقد خلقنا الله أحراراً. لا تربط سعادتك بمال أو إنسان ولا شهوة ولا مكان، فَمنْ خلق كل هذه الأشياء وجعل سعادتك فيها، قادر على تعويضك بخير منها. فكن عبد لله فقط.
- إن وجدت من يحبك بصدق، فكن أصدق منه ولا تستهن بمشاعره. فكم من نفوس تألقت وبفقدان الحب تدهورت.

- الكل يُرزق بالنعم، والكل يوجهها وفقا لإنسانيته، فالسلطة للافتراء أو لمساعدة الغير، والصحة للشكر أو للاستغناء، والمال للنزاهة أو للفساد، والعلم للتكبر أو لنشر الخير.
- عندما تؤمن بالقدر، تتعفف نفسك عما عند الآخر فتصبح أغنى البشر.
- البكاء قوة وليس ضعف. فان شعرت بالحزن لا تخجل من أن تبكي وتعبر عما بداخلك، وان شعرت بأن من تحبه حزين، فساعده على البكاء. فالبكاء دواء نفسي أقوى من الدواء الطبي.
- إن كنت من أصحاب القلوب التي ما زالت تتألم للفراق وترحم كل مشتاق، فهذا ليس بضعف، ولكنه رزق من الله أن يخلق في قلبك الرحمة.
- عندما تسير انظر للسماء وليس للأرض. فعندما تنظر للأرض ترى كل هموم الدنيا لأنك تستعيد الذكريات الحزينة، أما عندما تنظر للسماء فتشاهد وسع الكون ويأتيك الشعور بالأمل.
- استكمل المقولة " فاقد الشيء لا يعطيه" أو يعطيه بشدة.

- الموت صدمة عليك تقبلها لأنها واقع. تقبلها بعقلك بأن تتذكر أن الرسل كانوا أفضل البشر وماتوا، وتقبلوها في الصدور بزيارة القبور.
- بِقَدْر متعة الخيال، بقدر احتياجك للتأمل في الواقع ومعايشته، حتى تتحصن من صدماته.
- الصمت سلاح القوي، ولكنه أحيانا صديق المنكسر.
- لا تتضجر فظلام السحاب اليوم، قد يحمل إليك غدا مطر يوقظك من النوم.
- قد تستمد من الضعف قوتك، ومن الشدة راحتك، ومن الدنيا كل ما يرضيك، إن أيقنت ذلك.
- إن كان قلبك ما زال يطمئن باللجوء للخالق، فاشكر الشدائد التي منحتك الخوف لتلجأ لله.
- بين فترة والأخرى لابد وأن تفصل من كل ضغوط حياتك، لكي تستطيع استعادة طاقتك للحياة مرة أخرى.
- أينما رفعت رأسك دون انكسار جاءت إليك الدنيا بإصرار.
- إن كانت ضغوط الحياة وصدماتها مبررا لدوام انكسارنا، لما وجدنا متألقا على هذه الأرض.

- إن أردت أن ترضى عنك الأيام والليالي، فأكرم والديك دون أسباب أو شروط. أكرمهم طيبين أو خبثاء، أعطوك أو منعوك، حنوا عليك أو جافوك. أكرمهم في محياهم وفي مماتهم، في ضعفهم وفي قوتهم. يكرمك الله آجلاً أو عاجلاً.
- لا تنتظر خير ممن ليس له الخير بأبيه وأمه.
- مجالسة الكبار ثروة، إن أحسنت الإنصات فيها.
- عندما تتألم براءة نفسك وتستعد للرحيل، فلا تجهر بهذا، حتى لا تخف باقي الأنفس من البراءة، حفاظا على كل ما هو جميل.
- إن وجدت من استطاع احتواء أنثى أجبرتها الحياة على تحمل واجبات الرجال، فارفع قبعتك إحتراماً له، قبل أن ترفعها لها.
- لا تتصرف على أن كل من ارتاحت إليه نفسك، ترتاح نفسه إليك.
- قد يأتيك الخير ممن لا تعرفه ولا ينتظر رده، لأنك فعلته من قبل مع من لا تعرفه ولم تنتظر رده.

- لا تتعجل في الحكم على البشر. فالأنفس النقية قد تفقد قدرتها على العطاء وقتما تزيد عليها الضغوط النفسية، والأذكياء قد يتحولون لأغبياء وقت العصبية، والأسد قد تظنه سلحفاة، والفأر يصبح طوق نجاة.
- قد تشتاق لأنفس فيلهمونك طاقة لحب الحياة والسلام، وقد تشتاق لأخرين فتتعلم تفضيل الصمت على الكلام.
- الأحضان تمحي الأحزان وتجدد الطاقات. فمعانقة مَنْ تحب من أهم المقومات السيكولوجية للحياة.
- عندما تتعامل مع الآخرين فتذكر أن: للوجوه إيحاءات، وللتصرفات علامات، ولكن للنوايا حقائق، لا يلهمها الله إلا لمن طابت نواياه، فأحسنوا نواياكم.
- الذكريات السلبية قد تأتينا بالرحمة قبل العناء، إن أحسنا التأمل فيها.
- إبتسم فيما رضيت وفيما لم ترضَ، فما لم ترضاه جاءك ليشعرك حلاوة ما آتيك ليرضيك.
- رفقاً بأبنائكم، أن تثقل المسئولية أكتافهم فيشيخون وهم شباب، أو تمهدون إليهم كل السبل فيراهقون وهم شُيّاب.

- الحب رزق وفقدانه اختبار، والصبر رزق وفقدانه دمار. يأتي الحب بالصبر والدعاء، ونتعلم الصبر من تكرار الابتلاء. إذن فالشدائد نعمة للإنسان. سجل لقطات حياتك بالحكمة قبل الوجدان.

وأخيراً: فلا تتألم..

لأن الحياة المريحة نفسيا لصاحبها، هي حياة ضعيفة اللقطات.. بينما الحياة التي يشعر صاحبها بالوحدة الخفية، فهي غزيرة بلقطات تكفي لإنتاج فيلم سينمائي ضخم، يظل العالم كله متأثراً به للأبد.

ملحوظة هامة:

عزيزي القارئ لقد تعمدت ألا أصف لك ملامح أبطال هذه الرواية باستثناء حكمة؛ وذلك لأنني قصدت أن ترى أنت كقارئ حكمة بصورتها التي رسمتها أنا ككاتب.

لقد تركت لك العنان بأن ترى كل شخصية وكل مكان ستدور به أحداث الرواية كما تحب أن تراه.

أردتك أن تتخيل كما شئت، ولك أن تراسلني فيما بعد عما تخيلت، "إن رغبت في ذلك"، وهذا مفيد جداً لصحتك النفسية.

مؤلفات الكاتبة

١- المهارات الحياتية "تطبيقات على مسرح العرائس": دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٠م.

٢- "طموح لم يتحمله بشر": دار الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣- "طفل الروضة والسلام النفسي": ليدرز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤- "ضد الصدمات": الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م.

٥- "حكمة": الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦م.

برامج الكاتبة:

١- برنامج "مش عيب": فيديو اليوم السابع.

٢- برنامج الصحة النفسية "افهموا بقى": قناة ten tv

وللمزيد الاطلاع على مواقع:

Google YouTube

البريد الالكتروني:

dr.rashaelgendy@gmail.com

الصفحة الرسمية:

http://www.facebook.com/DrRashaElGendy

Rasha Algendy

Rasha Elgendy

Dr . Rasha Elgendy